نظرات أسلوبية للتغليب

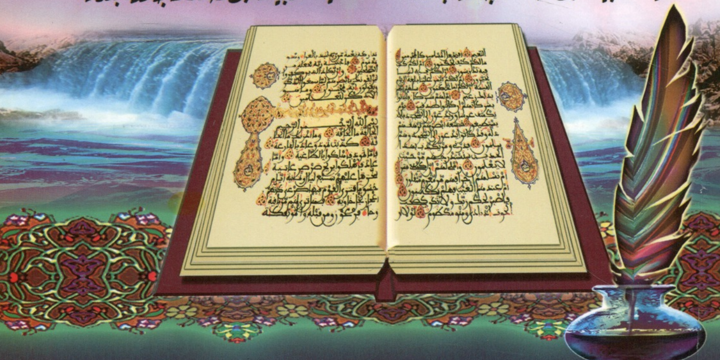
في الخطاب القرآني

أ.م.د عقيد خالد العزاوي

أستاذ البلاغة القرآنية قسم علوم القرآن
كلية التربية - ابن رشد - جامعة بغداد

أ.م.د عدنان جاسم الجميلي

أستاذ البلاغة والنقد قسم اللغة العربية
كلية التربية - ابن رشد - جامعة بغداد





نظرات أسلوبية للتغليب

في الخطاب القرآني

أ.م.د عقيد خالد العزاوي

أستاذ البلاغة القرآنية في قسم علوم القرآن
كلية التربية - ابن رشد - جامعة بغداد

أ.م.د عدنان جاسم الجميلي

أستاذ البلاغة والنقد في قسم اللغة العربية
كلية التربية - ابن رشد - جامعة بغداد



الطبعة الأولى

1432 هـ 2011 م





فرع أول: سورية - دمشق - برامكة - جانب دار الفكر
قبل دار التوليد - دخلة الحلبوني
هاتف: 2224279 - تلفاكس: 2457554
فرع ثاني: دمشق - ركن الدين - السوق التجاري
جانب مجمع الشيخ أحمد كفتارو
هاتف: 2770433 تلفاكس: 2752882
ص.ب: 36267 - موبايل: 0944/349434
E-mail:daralasma@gmail.com



﴿ وَقَالَ ٱلَّذِينَ كَفَرُواْ لَا تَسۡمَعُواْ لِهَٰذَا ٱلۡقُرۡءَانِ

وَٱلۡغَوۡاْ فِيهِ لَعَلَّكُمۡ تَغۡلِبُونَ ﴾

صدق الله العظيم

(فصلت/٢٦)

الإهداء

إلى كل من طلب العلم لوجه الله تعالى خالصاً

معاً للعلم والمعرفة

المؤلفان

المقدمـــة

الحمد لله الذي رفع السماوات والأرض، والصلاة والسلام على أشرف رسله سيدنا محمد بن عبد الله (ﷺ) وعلى آله وأصحابه وأتباعه إلى يوم الدين.

أما بعدُ؛

فالدرس الأسلوبي الحديث قد تبوّأ مكانة مرموقة وشـامخة فـي سماء ثقافتنا العربية المعاصرة بفضل الطروحات والسمات الإبداعيـة التي طرّزها متبنّوه من الدارسين الغربيين والعرب على حد سواء.

إنّ الدارس ذو البصيرة المتوقدة عندما يهم الدخول إلى مثل هذا المضمار المهم، ربما يفكر ملياً، وهو يروم أن يصطبغ بحثه بصبغة الجدة والابتكار والخلق التي تضاف إلى شرف المحاولة التي تحـسب له في دراسة هذا الموضوع أو غيره.

وتأسيساً على ذلك استحق الكتاب اسم (نظرات أسلوبية للتغليـب في الخطاب القرآني). فالتغليب أحد أساليب البلاغـة التـي عرفتهـا الدراسات العربية القديمة، سواء أكانت نحوية أم لغوية أم بلاغية، فقد أدلى العلماء العرب القدامى بدلوهم في هذا المعترك العلمي، وحـاول كل منهم أن يمحص بشيء من الدقة وسعة النظر في هـذا المبحـث البلاغي.

وربما لا يفوتنا القول أن هذا الموضوع قد سبقنا القول فيه باحثون حاول كل منهم أن يميط اللثام عن جوانب من أسلوب التغليب منها كتاب (ظاهرة التغليب في العربية ظاهر لغوية اجتماعية/ للدكتور عبد الفتاح الحموز في عام ١٩٩٣م).

كذلك دراسة الباحث عبد الوهاب حسن حمد الموسومة (التغليب في القرآن الكريم). وهي أطروحة دكتوراه في كلية الآداب- جامعة بغداد سنة ١٩٩٠م.

لقد ركزت هاتين الدراستين على التطرق لموضوع التغليب من وجهة نظر نحوية ولغوية من غير التطرق للتغليب من زاوية نظر ورؤية أسلوبية بلاغية حديثة بالإفادة من مناهج الأسلوبية الغربية الحديثة.

إنَّ الرؤية التي حاولنا فيها دراسة هذا الموضوع تفيد كثيراً من طروحات الغربيين في التنظير للأسلوبية واتجاهاتها، مطبقين هذا الطرح على نص تراثي خالد ألا وهو القرآن الكريم.

إننا بعملنا هذا نسعى إلى إثارة التساؤلات والافتراضات عبر استنطاق النصوص القرآنية وصولاً إلى رؤية شمولية تسعى إلى الإحاطة بالخطاب القرآني من خلال مستوى الانزياح التغليبي فيه

والكشف عن مضمراته وصولاً إلى جعلها منطلقاً لهذا النص الجليل الرائع.

لقد اقتضت طبيعة البحث الحديث عن المقدمة ثم عرجنا حول تعريف التغليب وماهيته ثم جاء التطرق إلى موضوع هل التغليب من المجاز أم لا؟ والآراء التي قيلت فيه. ثم ألقينا نظرة متفحصة متأنية حول أنواع التغليب ودواعيه البلاغية فابتدأنا بالانزياح التغليبي للمذكر على المؤنث ثم تلا ذلك الحديث عن الانزياح التغليبي للعاقل على غيره، ثم جاء في سلم التواتر تغليب الحاضر على الغائب، وكذلك الإسلام على غيره، والمتكلم على المخاطب والمخاطب على الغائب، ثم وصلنا إلى الانزياح التغليبي للأكثر على الأقل، والجنس الكثير الإفراد على غيره. ثم جاء بعد ذلك ما وقع بوجه مخصوص، وأخيراً وصل الحديث عن التغليب للأشهر والليالي على الأيام.

ثم أشتمل البحث على نتائج البحث وهي ليست مسلمات نهائية وجازمة بل تفتح رؤى جديدة للدارسين الذين سيأتون فيما بعد ليضيفوا إلى ما قلناه الشيء الكثير.

ثم أوردنا المصادر والمراجع التي استعان بها البحث.

وبعد؛

فإننا نحمد الله جلَّ في علاه وندعوه مخلصين أن يعصمنا من الخطأ ويجنبنا الزلل، وأن يجعل لهذا البحث فائدة عامرة، خالصة لوجهه الكريم- سبحانه- وعلى الله فليتوكل المتوكلون.

المؤلفان

بغداد في يوم الخميس ١٢/شوال/١٤٣٠هـ الموافق ١/١٠/٢٠٠٩م

مدخل نظري

التغليب تعريفه وماهيته:

إنَّ مصطلح التغليب يظل موحياً بالتجدد تبعاً لتجدد المعطيات الفكرية للدارسين الذين تصدوا له، فقد تحدّث علماء البلاغة عن هذا المصطلح البلاغي، وأولوه اهتمامهم وعنايتهم، وذكروا له تعريفات عدة ويعد السكاكي (ت ٦٢٦هـ) من أوائل البلاغيين الذين تصدوا لمصطلح التغليب وذلك في كتابه (مفتاح العلوم)[١].

ثم جاء بعده الخطيب القزويني (ت ٧٣٩هـ) في كتابه (الإيضاح): فيقول: "والتغليب باب واسع يجري في فنون كثيرة"[٢] كما نجد أوضح تعاريف التغليب وأكثرها دقة وشهرة لدى الزركشي (ت ٧٩٤هـ)؛ إذ يقول: "وحقيقته إعطاء الشيء حكم غيره، وقيل ترجيح أحد المغلوبين على الآخر، أو إطلاق لفظةُ عليهما إجراءً للمختلفين مجرى المتفقين"[٣].

---

[١] مفتاح العلوم: ٤٤٩.

[٢] الإيضاح: ٩١، وينظر: شروح التلخيص ٥١/٢، معجم المصطلحات البلاغية: ٣٠٥/٢.

[٣] البرهان في علوم القرآن: ١٩٠/٣.

وقد نقل السيوطي هذا التعريف للزركشي وأيده[1].

ولعل أقرب تعريف يلامس طبيعة التغليب من الوجهة البلاغية هو ما أشار إليه القدامى بقولهم: "هو ترجيح أحد المعلومين على الآخر وإطلاقه عليهما"[2].

(1) ينظر: الإتقان ١٠٣/٣، معترك الإقران: ١٧٨/١.

(2) التعريفات: ٤٣، وينظر: شروح التلخيص ٥١/٢-٥٣، كشاف اصطلاحات الفنون: ٤٨٩/١.

التغليب بوصفه انزياحاً (جماليات التغليب المجازي)

مما لا شك فيه أن التغليب يعد مظهراً من مظاهر المجاز، وهو بذلك يعد انزياحاً أو عدولاً بالمصطلح الأسلوبي الحديث، ويعرّف الانزياح بأنّه: "استعمال المبدع للغة، مفردات وتراكيب وصوراً، استعمالاً يخرج به عما هو معتاد ومألوف بحيث يحقق المبدع ما ينبغي له أن يتصف به من تفرد وإبداع وقوة جذب"[1].

إنّ "القرآن بما فيه من سر الإعجاز، غير خاضع لما خضع له الإبداع البشري؛ أي أن الانزياح القرآني غير قابل للنفي ونعني بالنفي ههنا انتفاء المفاجأة التي يحدثها الانزياح، وزوالها مع كثرة الترداد. وهذا الانتفاء لمما يؤثر بالسلب في أدبية الأدب، أما انزياح القرآن فليس مما ينتفي البتة. ومن ثم فإن أدبية القرآن باقٍ تأثيرها ما بقي القرآن"[2].

وثمة ثلاثة آراء تعد التغليب من المجاز وهي على النحو الآتي:

---

[1] وظيفة الانزياح في منظور الدراسات الأسلوبية: د. عصام قصبجي، أحمد محمد ويس، مجلة بحوث جامعة حلب، ع ٢٨، ١٩٩٥، ص٣٩.

[2] الانزياح في التراث النقدي والبلاغي: د. أحمد محمد ويس ٣٤.

١- الرأي الأول:

يرى أنَّ التغليب يعدُّ من المجاز العام[١]. ولهذا الرأي كانت رؤية القدامى وعليه جلهّم وتبعهم بعض المُحْدَثين من المفسرين؛ لأنه يجمع ما بين الحقيقة والمجاز فضلاً عن وجود معنى ثالثاً يمكن أن يعمهما معاً، لكون كل واحد من الحقيقة والمجاز يمكن أن يكون مراداً باللفظ[٢].

ودليل أصحاب هذا الرأي وحجتهم هو قوله تعالى: **﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾**[٣]، فالمراد بقوله: (القانتين) كما يرون الذوات المتصفة بالقنوت على سبيل عموم المجاز، بسبب كون (قانتين) تجري على الذكور فقط. فكما هو معلوم أن صيغة الجمع بالواو والياء والنون خاصة بالذكور وهي في الوقت نفسه حقيقة فيهم بيْد أن القنوت يصح الوصف به للذكور والإناث فأوجد الصفة المشتركة بينهما على طريقة إجرائها على الذكور خاصة وأدخل الإناث فيها بفضل التغليب، والسبب في ذلك أن المراد طاعة كلا

---

[١] ينظر: شروح التلخيص: ٢/٥١-٥٢.

[٢] ينظر: حاشية الجرجاني على الكشاف ١٣٦/١، حاشية الشهاب ٢٣٦/١.

[٣] التحريم: ١٢.

القبيلين بدلالة الصيغة والنص فضلاً عن ذلك فهو إشعارٌ بأن طاعة سيدتنا مريم- عليها السلام- لم تكن مقتصرة عن طاعة الرجال الأمر الذي عدت من جملتهم وأدخلت في التعبير عنهم[1].

زيادة على ذلك فالذي تبنى هذا الرأي (لكون التغليب من المجاز العام) الزركشي؛ إذ يقول "وجميع باب التغليب من المجاز، لأن اللفظ لم يستعمل فيما وضع له"[2].

ويضيف الزركشي قائلاً: "ألا ترى لفظ- القانتين- في قوله تعالى: ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾[3] موضوع الذكور الموصوفين بهذا الوصف، فإطلاقه على الذكور والإناث إطلاق في غير ما وضع له، وقس على هذا جميع الأمثلة"[4].

كذلك تبنى هذا الرأي كل من السيوطي[5]، والآلوسي[6].

---

(1) ينظر: التغليب في القرآن الكريم: ٣٨.

(2) البرهان: ١٩٦/٣.

(3) التحريم: ١٢.

(4) البرهان: ١٩٦/٣.

(5) ينظر: الإتقان: ١٠٣/٣، معترك الإقران: ١٧٨/١.

(6) ينظر: روح المعاني: ٣٥٩/١٤.

٢- الرأي الثاني:

وقد ذهب أصحاب هذا الرأي إلى أن التغليب من المجاز المرسل وعلاقته الجزئية أو المصاحبة؛ لأن التجوز فيه لم يكن عن طريق المبالغة في التشبيه بل عن طريق التجوز الإرسالي بعلاقة الصحبة أو المشاكلة[١].

ودليلهم في ذلك قوله- عز وجل- ﴿وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾[٢]، فلفظة ﴿الْقَانِتِينَ﴾ هي للذكور الموصوفين بهذا الوصف، فإطلاقه على الذكور والإناث هو من باب إطلاق على غير ما وضع له، وبناء على هذه الفرضية يمكن قياس جميع الأمثلة المتعلقة بالتغليب على هذا النحو لكون اللفظ لم يستعمل فيما وضع له[٣].

فالتغليب ها هنا مال إلى استعمال صيغة مكان أخرى لإشتراكهما في الصفة فأطلقت على الذكور، والمراد بها الذكور والإناث معاً، وبسبب ذلك كان الأصل أن يقول: (**القانتات**) ولكنه أوردها بالصفة المشتركة مذكرة. وقد جمعت بالياء والنون، ويعني بها الذكور والإناث

---

[١] ينظر: شروح التلخيص: ٢/٥١، ٥٤.

[٢] التحريم: ١٢.

[٣] ينظر البرهان: ٣/١٩٠، الإتقان: ٣/١٠٣، معترك الإقران: ١/١٧٨.

على سبيل المجاز المرسل. وهو من باب الاتساع في المعنى[1]. وهذا رأي أكثر أهل الأصول الذين درسوه لبيان قاعدة أصولية وتوظيفها لبيان الاتساع في الفقه وقواعده.

ومن الآيات التي أوردها أصحاب هذا الرأي قوله تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللّهَ لَيْسَ بِظَلاَّمٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[2]، وقوله أيضاً: ﴿وَمَا أَصَابَكُم مِّن مُّصِيبَةٍ فَبِمَا كَسَبَتْ أَيْدِيكُمْ وَيَعْفُو عَن كَثِيرٍ﴾[3].

٣- الرأي الثالث:

ويرى بأنَّ التغليب من المجاز العقلي، وهو ما كان التجوز فيه في الإسناد، وليس بالصيغة، ومرجعه العقل المحض ولاحَظَّ للغة فيه، لكونه إثبات شيء لشيء، ولا يمكن حصول ذلك إلا بالجملة التي هي عبارة عن تأليف بين حديث ومحدث عنه، وكذلك المسند والمسند إليه. والحجَّة التي يروها بأنَّ التغليب من المجاز، ولمّا كان في الصيغة فيصير مجازاً لغوياً، فإنه أيضاً قد يكون مجازاً غير لغوي وبدوره يكون التجوز في النسبة بالإسناد والتعلق فيصبح مجازاً عقلياً[4].

---

[1] ينظر التغليب في القرآن الكريم: ٣٤.

[2] آل عمران: ١٨٢.

[3] الشورى: ٣٠.

[4] ينظر حاشية الشهاب: ١٣٥/٢، روح المعاني: ٢٣٤/١.

فنلمس التغليب في الصيغة من خلال قوله تعالى: ﴿وَقُلْنَا يَا آدَمُ اسْكُنْ أَنتَ وَزَوْجُكَ الْجَنَّةَ وَكُلاَ مِنْهَا رَغَداً حَيْثُ شِئْتُمَا وَلاَ تَقْرَبَا هَذِهِ الشَّجَرَةَ فَتَكُونَا مِنَ الْظَّالِمِينَ﴾[1]، فقد غلبَّ في لفظة ﴿اسْكُنْ﴾ المخاطب على الغائب بسبب كونه أمر للمخاطب المذكر، ولفظة ﴿زَوْجُكَ﴾ اسم ظاهر، ويدخل في صفة الغيبة، زيادة على ذلك فقد غلبَّ المذكر على المؤنث، فالأصل أن يقول (أسكنا) فلم يخاطبهما أولاً لكونه تنبيهاً على أنه المقصود بالحكم ويأتي المعطوف عليه تبع له ومأمور معه[2].

وعدَّ التغليب في لفظة (أسكن) من المجاز اللغوي في حين لم يكن من التجوز في الإسناد، بل في الصيغة، بسبب كون صيغة الأمر هاهنا للمخاطب وهي مستعملة في الأعم[3]. وهذا الرأي عليه أغلب أهل البلاغة.

وقد أورد أصحاب هذا الرأي طائفة من الأمثلة القرآنية منها: ﴿فَاعْتَرَفُوا بِذَنبِهِمْ فَسُحْقًا لأَصْحَابِ السَّعِيرِ﴾[4]، وكذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ

---

(1) البقرة: ٣٥.

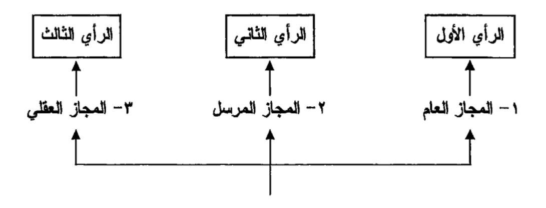
(2) ينظر تفسير البيضاوي: ١/٥٤.

(3) ينظر حاشية الشهاب: ٢/١٣٥، روح المعاني: ١/٢٣٤.

(4) الملك: ١١.

مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾[1]، ومثله قوله تعالى: ﴿إِنَّكُمْ وَمَا تَعْبُدُونَ مِن دُونِ اللَّهِ حَصَبُ جَهَنَّمَ أَنتُمْ لَهَا وَارِدُونَ﴾[2].

وقد اجتهدنا في توضيح الآراء الثلاثة في كون التغليب من المجاز عبر الرسم التوضيحي الآتي:



الآراء في كون التغليب من المجاز

---

(1) الأعراف: ٨٨.

(2) الأنبياء: ٩٨.

الانزياح التغليبي، أنواعه ودواعيه البلاغية:

أ- الانزياح التغليبي للمذكر على المؤنث:

يمكن القول أنَّ الانزياح التغليبي للمذكر على المؤنث كان أكثر أنواع الانزياح دوراناً وأوسعها استعمالاً، ومن أمثلة هذا النوع في الخطاب القرآني قوله تعالى: **﴿وَمَرْيَمَ ابْنَتَ عِمْرَانَ الَّتِي أَحْصَنَتْ فَرْجَهَا فَنَفَخْنَا فِيهِ مِن رُّوحِنَا وَصَدَّقَتْ بِكَلِمَاتِ رَبِّهَا وَكُتُبِهِ وَكَانَتْ مِنَ الْقَانِتِينَ﴾**[1]، فالخطاب الإلهي قد عدّ "الأنثى من الذكور بحكم التغليب"[2]. يقول ابن جزي الكلبي (ت٧٤١هـ) في تحليل هذه الآية "أي: من العابدين فإن قيل: لِمَ قال من القانتين بجمع المذكر وهي أنثى؟ فالجواب: إن القنوت صفة تجمع الرجال والنساء فغلَّب الذكور"[3].

وهذا القول لا يخرج عما ذهب إليه علماء البلاغة والتفسير في

---

(١) التحريم: ١٢.

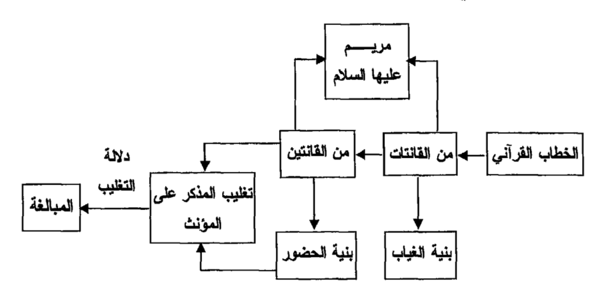
(٢) الإيضاح: ٩١، وينظر البرهان في علوم القرآن: ٣/١٩٠، الإتقان: ٣/١٠٣، كشاف الاصطلاحات الفنون: ١/٤٨٩.

(٣) التسهيل لعلوم التنزيل: ٤/١٣٣.

تغليب المذكر على المؤنث[1].

أما ابن عاشور (ت ١٩٧٣م)، فيرى من الجائز "أن تجعل (من) للتبعيض أي: هي بعض من قنت لله وغلبت صيغة جمع الذكور، ولم يقل القانتات، جرياً على طريقة التغليب، وهو من تخريج الكلام على مقتضى الظاهر"[2].

ويمكن توضيح الانزياح التغليبي بهذا المخطط الذي اجتهدنا في رسمه وكما يلي:



---

[1] ينظر التسفير الكبير: ٤٥/٣٠، تفسير النسفي: ١٨٣٤/٣، الإيضاح: ٩١، إرشاد العقل السليم: ٢٧١/٦، تفسير البيضاوي: ٥٠٧/٢، البرهان في علوم القرآن: ١٩٠/٣، الإتقان: ٤٠/٢، معترك الأقران: ١٧٨/١، الأشباه والنظائر: ١٣٥/١، مغني اللبيب: ٧٦٦/٢، تفسير القاسمي: ٢٧٩/٩.

[2] التحرير والتنوير: ٣٣٩/٢٨.

زيادة على ذلك يتجسد هذا النوع من الانزياح التغليبي في قوله تعالى: ﴿فَأَنجَيْنَاهُ وَأَهْلَهُ إِلاَّ امْرَأَتَهُ كَانَتْ مِنَ الْغَابِرِينَ﴾[1]، فالملاحظ على هذه الآية يجدها تقوم على مبدأ الانزياح التغليبي للمذكر على المؤنث فالأصل من الغابرات، فَعَدَّت الأنثى من الذكور بحكم التغليب[2]. ودلالة هذا التغليب المبالغة.

وإلى المنحى نفسه قوله تعالى: ﴿إِلاَّ امْرَأَتَهُ قَدَّرْنَا إِنَّهَا لَمِنَ الْغَابِرِينَ﴾[3]، ومن ألوان الانزياح التغليبي للمذكر على المؤنث ما جاء في قوله- عز وجل-: ﴿وَجُمِعَ الشَّمْسُ وَالْقَمَرُ﴾[4]، فقد عمد النص الكريم إلى استعمال التغليب للذكور على الإناث لكون الواو جامعة، ولأنَّ لفظ الفعل مقتضى، ولو أردت العطف امتنع[5].

---

(١) الأعراف: ٨٣.

(٢) ينظر تفسير النسفي: ٥٣٠/١، التسهيل لعلوم التنزيل: ٣٨/٢، البرهان في علوم القرآن: ١٩٠/٣، الإتقان: ١٠٣/٣، إرشاد العقل السليم: ٥١٤/٢، تفسير القاسمي: ١٤٢/٥.

(٣) الحجر: ٦٠.

(٤) القيامة: ٩.

(٥) ينظر تفسير البيضاوي: ٥٤٨/٢، البرهان في علوم القرآن: ١٩٠/٣، إرشاد العقل السليم: ٣٣٦/٦.

يقول الفراء (ت٢٠٧هـ) وهو يحلل هذه الآية "وإنما قال: جمع ولم يقل جمعت لهذا لأن المعنى جمع بينهما فهذا وجه وإن شئت جعلتهما جميعاً في مذهب نورين فكأنك قلت جمع النوران جمع الضياءان، وهو قول الكسائي، وقد كان قوم يقولون إنما ذكرنا فعل الشمس؛ لأنها لا تنفرد بجمع حتى يشركها غيرها فلما شاركها مذكر كان القول فيها جمعا ولم يجز جمعتا"[1].

ومن ألوان الخطاب القرآني في الانزياح التغليبي للمذكر على المؤنث قوله تعالى: ﴿**يُوصِيكُمُ اللّهُ فِي أَوْلاَدِكُمْ لِلذَّكَرِ مِثْلُ حَظِّ الأُنثَيَيْنِ فَإِن كُنَّ نِسَاء فَوْقَ اثْنَتَيْنِ فَلَهُنَّ ثُلُثَا مَا تَرَكَ وَإِن كَانَتْ وَاحِدَةً فَلَهَا النِّصْفُ وَلأَبَوَيْهِ لِكُلِّ وَاحِدٍ مِّنْهُمَا السُّدُسُ مِمَّا تَرَكَ إِن كَانَ لَهُ وَلَدٌ فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ فَلأُمِّهِ الثُّلُثُ فَإِن كَانَ لَهُ إِخْوَةٌ فَلأُمِّهِ السُّدُسُ مِن بَعْدِ وَصِيَّةٍ يُوصِي بِهَا أَوْ دَيْنٍ آبَآؤُكُمْ وَأَبناؤُكُمْ لاَ تَدْرُونَ أَيُّهُمْ أَقْرَبُ لَكُمْ نَفْعاً فَرِيضَةً مِّنَ اللّهِ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلِيما حَكِيمًا**﴾[2]، ومثله أيضاً: ﴿**فَإِن لَّمْ يَكُن لَّهُ وَلَدٌ وَوَرِثَهُ أَبَوَاهُ**﴾[3]، ومثله كذلك: ﴿**يَا بَنِي آدَمَ لاَ يَفْتِنَنَّكُمُ الشَّيْطَانُ كَمَا أَخْرَجَ أَبَوَيْكُم مِّنَ الْجَنَّةِ يَنزِعُ عَنْهُمَا**

---

[1] معاني القرآن: ٣/٢١٠، وينظر التفسير الكبير: ١٩٤/٣٠، التسهيل لعلوم التنزيل: ١٦٤/٤، البرهان في علوم القرآن: ١٩٠/٣.

[2] النساء: ١١.

[3] النساء: ١١.

لِبَاسَهُمَا لِيُرِيَهُمَا سَوْءَاتِهِمَا إِنَّهُ يَرَاكُمْ هُوَ وَقَبِيلُهُ مِنْ حَيْثُ لاَ تَرَوْنَهُمْ إِنَّا جَعَلْنَا الشَّيَاطِينَ أَوْلِيَاء لِلَّذِينَ لاَ يُؤْمِنُونَ﴾[1]، ومثله قوله: ﴿وَأَمَّا الْغُلاَمُ فَكَانَ أَبَوَاهُ مُؤْمِنَيْنِ فَخَشِينَا أَن يُرْهِقَهُمَا طُغْيَانًا وَكُفْرًا﴾[2]، فثنى الأب والأم بقوله أبوان[3]. فالواضح من خلال النص أنه لم يثنِ على لفظ الأم بيْد أن لفظ الوالد صفة مشتركة بين الأثنين بخلاف الأب والأم فكيف ثنيا على لفظ أحدهما وهو الأب؟

يقول سيبويه: "إنما قالوا: أبوان، لأنهم جمعوا بين أب وأبة، إلا أنه لا يكون مستعملاً إلا في النداء؛ إذ أعنيت المذكر واستغنوا بالأم في المؤنث عن أبة، وكان ذلك عندهم في الأصل على هذا، فمن ثم جاءوا عليه بالأبوين وجعلوه في غير النداء منزلة الوالد؛ وكأنَّ مؤنثة أبة كما أن مؤنث الوالد والوالدة"[4].

فالأبوان متفقان في اللفظ وهما في الأصل لفظتا أب وأبة، فاستغنى بالأم عن لفظة (أبة) بسبب الألتباس بالمذكر في النداء، فتلحقه الهاء بديلاً عن ياء الإضافة، فالقائل يقول يا أبي لا تفعل، ويا

---

(1) الأعراف: ٢٧.

(2) الكهف: ٨٠.

(3) ينظر التبيان في تفسير القرآن: ٨١/٧، مجمع البيان: ٢٩٨/٦، التفسير الكبير: ١٧٢/٩، تفسير النسفي: ٢٩٣/١، تفسير القاسمي: ٤٠/٣.

(4) الكتاب: ٢١٥/٢، وينظر المخصص: ١٧٢/١٣.

أمي لا تفعلي، لا يقول يا أم، ويا أب، فتأتي لفظة يا أبة لا تفعل باستعمال الهاء مكان الياء[١]. ودلالة الانزياح التغليبي في هذه النصوص العموم.

وخصص ابن السمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ) حديثه في آية [النساء/١١] المذكورة آنفاً فقال "والضمير في (لأبويه) عائد على ما عاد عليه الضمير في (ترك) وهو الميت المدلول عليه بقوة الكلام والتثنية في (أبويه) من التغليب والأصل: لأبيه وأمه، وإنما غلب المذكر على المؤنث كقولهم: القمران والعمران وهي تثنية لا تنقاس"[٢].

زيادة على ذلك ففي قوله: "(فإن كان له أخوة) (أخوة) أعم من أن يكونوا ذكوراً أو إناثاً أو بعضهم ذكوراً وبعضهم إناثاً ويكون هذا من باب التغليب"[٣]، ودلالة الانزياح التغليبي هنا العموم ومن النصوص القرآنية القريبة لهذا المنحى قوله تعالى: **﴿فَلَمَّا دَخَلُواْ عَلَى يُوسُفَ آوَى إِلَيْهِ أَبَوَيْهِ وَقَالَ ادْخُلُواْ مِصْرَ إِن شَاء اللّهُ آمِنِينَ﴾**[٤].

---

[١] ينظر المقتضب: ١٦٩/٣.

[٢] الدر المصون: ٣٢١/٢، وينظر تفسير القاسمي: ٤٠/٣.

[٣] الدر المصون: ٣٢١/٢.

[٤] يوسف: ٩٩.

فأطلق لفظ الأبوان على الأب زوج الأب وهي (ليئة) وفي الحقيقة هي خالة سيدنا يوسف- عليه السلام- المتولية تربيته وحضانته[1]، فالانزياح التغليبي للمذكر على المؤنث يتمظهر عبر النص القرآني المذكور آنفاً.

إنَّ الخطاب القرآني وظف التغليب توظيفاً جمالياً، ومثل هذا النص آية أخرى هي قوله تعالى: ﴿وَرَفَعَ أَبَوَيْهِ عَلَى الْعَرْشِ وَخَرُّواْ لَهُ سُجَّدًا وَقَالَ يَا أَبَتِ هَذَا تَأْوِيلُ رُؤْيَايَ مِن قَبْلُ قَدْ جَعَلَهَا رَبِّي حَقًّا وَقَدْ أَحْسَنَ بَي إِذْ أَخْرَجَنِي مِنَ السِّجْنِ وَجَاء بِكُم مِّنَ الْبَدْوِ مِن بَعْدِ أَن نَّزغَ الشَّيْطَانُ بَيْنِي وَبَيْنَ إِخْوَتِي إِنَّ رَبِّي لَطِيفٌ لِّمَا يَشَاء إِنَّهُ هُوَ الْعَلِيمُ الْحَكِيمُ﴾[2]، فالانزياح التغليبي يتجسد في قوله: ﴿رَفَعَ أَبَوَيْهِ﴾ والمراد الأب والأم والخالة[3].

ومن نصوص الخطاب القرآني المتفق على وجود الانزياح التغليبي للمذكر على المؤنث قوله- عز وجل-: ﴿يَا مَرْيَمُ اقْنُتِي لِرَبِّكِ وَاسْجُدِي وَارْكَعِي مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾[4].

---

[1] ينظر التحرير والتنوير: ١١٧/١٢.

[2] يوسف: ١٠٠.

[3] ينظر فقه اللغة: ٥٥٩، الدر المصون: ٢١٥/٤، التحرير والتنوير: ٣١٨/٧.

[4] آل عمران: ٤٣.

لقد تلمسنا الانزياح في قوله ﴿مَعَ الرَّاكِعِينَ﴾ فالسياق اللفظي يقتضي أن يكون اللفظ (مع الراكعات) فعمل التغليب تنبيهاً للأفضل والأكمل[1]. فالكمال للذكور والنقصان للإناث كما يقول الرازي[2] (ت ٦٠٦هـ)، وبسبب ذلك كلما اجتمع التذكير والتأنيث كانت كفة التذكير مغلبة. ودلالة هذا التغليب المبالغة في الأفضلية[3].

إنّ تجليات الظاهرة الأسلوبية في هذه النصوص تظهر بفضل العدول في تغليب لفظة دون الأخرى لدلالات فنية جمالية. ومثل هذا الوصف ينطبق على قوله تعالى: **﴿يَا نِسَاء النَّبِيِّ لَسْتُنَّ كَأَحَدٍ مِّنَ النِّسَاء إِنِ اتَّقَيْتُنَّ فَلَا تَخْضَعْنَ بِالْقَوْلِ فَيَطْمَعَ الَّذِي فِي قَلْبِهِ مَرَضٌ وَقُلْنَ قَوْلاً مَّعْرُوفاً﴾**[4].

إننا بتأملنا لهذا الخطاب القرآني نجده مستعملاً لفظة (أحد) وكان الأصل أن تكون (كواحدة)؛ لأن الموضع موضع عموم بيْد أنَّ الآية مالت إلى الانزياح التغليبي للمذكر على المؤنث، وإنْ كان معناه ليست كل واحدة منكنَّ كواحدة من النساء[5]. فاستعمال لفظة (أحد) في غير

---

[1] ينظر تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل): ٢٤٩/١.

[2] التفسير الكبير: ١٢٣/٦.

[3] ينظر المرجع السابق: ٣٩/٨.

[4] الأحزاب: ٣٢.

[5] ينظر الخصائص: ٣٣٦/٣.

الموجب يفيد العموم والمراد بالنص الكريم نفي المساواة بين واحدة من نساء النبي- ﷺ- وأية واحدة أخرى من نساء العالم[1].

وقال تعالى: ﴿وَإِن طَلَّقْتُمُوهُنَّ مِن قَبْلِ أَن تَمَسُّوهُنَّ وَقَدْ فَرَضْتُمْ لَهُنَّ فَرِيضَةً فَنِصْفُ مَا فَرَضْتُمْ إَلاَّ أَن يَعْفُونَ أَوْ يَعْفُوَ الَّذِي بِيَدِهِ عُقْدَةُ النِّكَاحِ وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى وَلاَ تَنسَوُاْ الْفَضْلَ بَيْنَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِمَا تَعْمَلُونَ بَصِيرٌ﴾[2].

فالخطاب القرآني أشتمل على الانزياح التغليبي للمذكر على المؤنث في قوله: ﴿وَأَن تَعْفُواْ أَقْرَبُ لِلتَّقْوَى﴾ خطاب للرجال والنساء جميعاً، وهو خطاب عام للرجال والنساء بيد أن الغلبة للذكور والسبب في ذلك أن الذكورة أصل والأنوثة فرع في اللفظ وفي المعنى، ويفصل الرازي هذا القول ففي اللفظ أنَّك: "تقول قائم ثم تريد التأنيث فتقول قائمة فاللفظ الدال على المذكر هو الأصل والدال على المؤنث فرع عليه، وأما في المعنى فلأنَّ الكمال للذكور والنقصان للإناث؛ فلهذا السبب متى اجتمع التذكير والتأنيث كان جانب التذكير مغلباً"[3].

---

[1] ينظر شرح الرضي على الكافية: ٢٨٤/٣.

[2] البقرة: ٢٣٧.

[3] التفسير الكبير: ١٢٣/٦، وينظر البحر المحيط: ٣٧٩/٢.

ولم يخرج رأي النسفي[1] أبو السعود[2]، والآلوسي[3] والقاسمي[4] عن هذا التحليل في توصيف المغزى الجمالي للتغليب في النص الكريم.

ولكون الذكورة سبباً للإيجاد، نجد أنها الأصل وبها يكون الإنشاء والإيجاد، وتأتي المرحلة الأخرى المكملة لسبب الإيجاد وهي الإناث، وكأنها ناقصة لا تكون إلا بها. وحتى تكتمل، فكان التغليب من هذا الجانب وبهذه الصورة، وكذلك لكونه الأشرف والله أعلم.

ومن النصوص القرآنية التي يتجسد فيها هذا النوع من الانزياح التغليبي في قوله تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا لاَ يَسْخَرْ قَومٌ مِّن قَوْمٍ عَسَى أَن يَكُونُوا خَيْرًا مِّنْهُمْ وَلا نِسَاء مِّن نِّسَاء عَسَى أَن يَكُنَّ خَيْرًا مِّنْهُنَّ وَلاَ تَلْمِزُوا أَنفُسَكُمْ وَلاَ تَنَابَزُوا بِالأَلْقَابِ بِئْسَ الاِسْمُ الْفُسُوقُ بَعْدَ الإِيمَانِ وَمَن لَّمْ يَتُبْ فَأُوْلَئِكَ هُمُ الظَّالِمُونَ﴾**[5] ، فالواضح من خلال النص أنَّ الخطاب في تغليب المذكر على المؤنث في لفظة (آمنوا)

---

[1] ينظر: تفسير النسفي: ١/١٧١.

[2] إرشاد العقل السليم: ١/٢٨١.

[3] ينظر: روح المعاني: ١/٥٤٧.

[4] تفسير القاسمي: ٢/١٦٢.

[5] الحجرات: ١١.

ودلالة هذا التغليب العموم؛ ولأن النساء توابع للرجل[1]. ومثل هذا التحليل قوله تعالى: **﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُوا لِلَّذِينَ آمَنُوا لَوْ كَانَ خَيْرًا مَّا سَبَقُونَا إِلَيْهِ وَإِذْ لَمْ يَهْتَدُوا بِهِ فَسَيَقُولُونَ هَذَا إِفْكٌ قَدِيمٌ﴾**[2].

إنَّ المتأمل للنص الكريم يجده مستعملاً لفظة **﴿سَبَقُونَا﴾** التي يتمظهر منها الانزياح التغليبي للمذكر على المؤنث[3]. فالخطاب أشتمل على ملمح أسلوبي جمالي؛ لأنَّ كلمة **(سبقونا)** تعني المستضعفين الأوائل من المسلمين[4].

فعمل الواو ايجازان: الأول: كونه ضميراً والضمائر يؤتى بها للإيجاز، أما الآخر فإنه التغليب للمذكر على ضمير الإناث وهو النون، ولذلك فدلالة هذا الانزياح التغليبي للإيجاز.

ومن ألوان الانزياح التغليبي للمذكر على المؤنث ما جاء في قوله تعالى: **﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ**

---

(1) ينظر: فقه اللغة: ٥٠٢، تفسير البيضاوي: ٤١٧/٢، إرشاد العقل السليم: ١١٦/٦، تفسير القاسمي: ٥٣٢/٨، التحرير والتنوير: ٢٠٦/٢٦.

(2) الأحقاف: ١١.

(3) ينظر: روح المعاني: ١٧١/١٣.

(4) ينظر: الكشاف: ١٩٨/٤، تفسير البيضاوي: ٣٩٤/٢.

حُسْناً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مِّعْرِضُونَ﴾[1].

فلقد جاء هذا النص ليصور الانزياح بفضل لفظة (الوالدان) وهي تثنية والد وأطلقهما على الأب والأم بفضل التغليب للمذكر على المؤنث ودلالته العموم[2].

وشبيه بهذه الآية قوله تعالى: ﴿وَوَصَّيْنَا الإِنسَانَ بِوَالِدَيْهِ حَمَلَتْهُ أُمُّهُ وَهْنًا عَلَى وَهْنٍ وَفِصَالُهُ فِي عَامَيْنِ أَنِ اشْكُرْ لِي وَلِوَالِدَيْكَ إِلَيَّ الْمَصِيرُ﴾[3].

فالخطاب الإلهي تضمن الانزياح التغليبي في لفظة ﴿بِوَالِدَيْهِ﴾ فالأصل أن يقول (بأبويه) لكنه عمد إلى تغليب المذكر على المؤنث. ودلالة هذا التغليب هو التعظيم بدليل قوله تعالى ﴿وَوَصَّيْنَا﴾[4].

ومن صور الانزياح التغليبي للمذكر على المؤنث قوله تعالى: ﴿وَلَوْ أَنَّ قُرْآنًا سُيِّرَتْ بِهِ الْجِبَالُ أَوْ قُطِّعَتْ بِهِ الأَرْضُ أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى بَل لِّلَّهِ الأَمْرُ جَمِيعًا أَفَلَمْ يَيْأَسِ الَّذِينَ آمَنُواْ أَن لَّوْ يَشَاء اللَّهُ لَهَدَى النَّاسَ جَمِيعًا وَلاَ يَزَالُ الَّذِينَ كَفَرُواْ تُصِيبُهُم بِمَا صَنَعُواْ قَارِعَةٌ

---

[1] البقرة: ٨٣.

[2] ينظر: روح المعاني: ٣٠٨/١.

[3] لقمان: ١٤.

[4] ينظر: من أسرار البلاغة القرآنية: د. أسعد مصلح احمد عريقات ١٨٢.

أَوْ تَحُلُّ قَرِيبًا مِّن دَارِهِمْ حَتَّى يَأْتِيَ وَعْدُ اللّهِ إِنَّ اللّهَ لاَ يُخْلِفُ الْمِيعَادَ﴾[1].

فالواضح من خلال النص أن التاء قد حذفت من قوله: ﴿أَوْ كُلِّمَ بِهِ الْمَوْتَى﴾، في حين ثبتت في الفعلين التي قبله بسبب التغليب ولأن لفظة (الموتى) تشمل المذكر والمؤنث[2].

ومثل هذا المعنى نلمس قوله تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي بَعَثَ فِي الأُمِّيِّينَ رَسُولاً مِّنْهُمْ يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِهِ وَيُزَكِّيهِمْ وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ وَالْحِكْمَةَ وَإِن كَانُوا مِن قَبْلُ لَفِي ضَلَالٍ مُّبِينٍ﴾[3]، فالناظر إلى الخطاب القرآني يطالع لفظة ﴿الأُمِّيِّينَ﴾ وهي صفة لموصوف محذوف دلَّ عليه صيغة جمع العقلاء، وهو انزياح تغليبي للمذكر على المؤنث، ودلالة هذا التغليب العموم[4].

ومن النصوص القرآنية الحاملة في طياتها سمات الانزياح التغليبي للمذكر على المؤنث قوله تعالى: ﴿إِنَّ الْمُسْلِمِينَ وَالْمُسْلِمَاتِ وَالْمُؤْمِنِينَ وَالْمُؤْمِنَاتِ وَالْقَانِتِينَ وَالْقَانِتَاتِ وَالصَّادِقِينَ وَالصَّادِقَاتِ وَالصَّابِرِينَ وَالصَّابِرَاتِ وَالْخَاشِعِينَ وَالْخَاشِعَاتِ وَالْمُتَصَدِّقِينَ

---

(1) الرعد: ٣١.

(2) ينظر: الدر المصون: ٤/٢٤٢-٢٤٣، تفسير القاسمي: ٦/٢٨٥.

(3) الجمعة: ٢.

(4) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٨/١٨٧.

وَالْمُتَصَدِّقَاتِ وَالصَّائِمِينَ وَالصَّائِمَاتِ وَالْحَافِظِينَ فُرُوجَهُمْ وَالْحَافِظَاتِ وَالذَّاكِرِينَ اللَّهَ كَثِيرًا وَالذَّاكِرَاتِ أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم مَّغْفِرَةً وَأَجْرًا عَظِيمًا﴾[١].

فتطالعنا عبارة ﴿أَعَدَّ اللَّهُ لَهُم﴾ وهي صيغة تغليب للذكور على الإناث فالأصل أن يقول: (لهم ولهن)[٢]. ودلالة هذا الانزياح التغليبي الإيجاز ولتكثيف المعنى فاقتصر اللفظ على الذكور، وأدخل الإناث في أثناء الكلام للاختصار.

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّذَانَ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ فَآذُوهُمَا فَإِن تَابَا وَأَصْلَحَا فَأَعْرِضُوا عَنْهُمَا إِنَّ اللَّهَ كَانَ تَوَّابًا رَّحِيمًا﴾[٣]، فالنص الكريم أشتمل على قوله: ﴿وَاللَّذَانَ يَأْتِيَانِهَا مِنكُمْ﴾ ويعني فيها الزناة من كلا الصنفين بيْد أنه غلب الذكور على الإناث[٤]. ودلالته العموم.

وقال تعالى: ﴿يُوسُفُ أَعْرِضْ عَنْ هَذَا وَاسْتَغْفِرِي لِذَنبِكِ إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾[٥]، فالناظر إلى الخطاب الكريم يلمس قوله: ﴿إِنَّكِ كُنتِ مِنَ الْخَاطِئِينَ﴾ أي: "من القوم المذنبين من خطئ إذا أذنب متعمداً

---

(١) الأحزاب: ٣٥.

(٢) ينظر: روح المعاني: ٢٠٢/١١.

(٣) النساء: ١٦.

(٤) ينظر: إرشاد العقل السليم: ١١١/٢.

(٥) يوسف: ٢٦.

والتذكير للتغليب"[1].

فضلاً عن ذلك فهنالك آيات قرآنية أخرى[2] أشتملت على الانزياح التغليبي للمذكر على المؤنث قمنا بتحليلها.

ب- الانزياح التغليبي للعاقل على غيره:

يشغل الانزياح التغليبي للعاقل على غيره حيزاً مهماً في الخطاب القرآني، ومن أمثلة ذلك.

قال تعالى: **﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاء فَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى بَطْنِهِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى رِجْلَيْنِ وَمِنْهُم مَّن يَمْشِي عَلَى أَرْبَعٍ يَخْلُقُ اللَّهُ مَا يَشَاء إِنَّ اللَّهَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾**[3] لقد عبَّر النص الكريم عن الانزياح التغليبي للعاقل على غيره عبر لفظة **﴿فَمِنْهُم﴾**، وهو تغليب للعاقل على غيره[4].

---

[1] تفسير البيضاوي: ١/٤٨١، وينظر: إرشاد العقل السليم: ٣/٣٨٥.

[2] للاستزادة من هذه الآيات ينظر: الرحمن: ٦، البقرة: ٢٣٣، النساء: ٦، النساء: ٧، النساء: ١٥، يوسف: ١٠٢، الأحزاب: ٥٨، الحديد: ١٨، النحل: ٨.

[3] النور: ٤٥.

[4] ينظر: فقه اللغة: ٤٨٥، التبيان في تفسير القرآن: ٧/٤٤٨، مجمع البيان: ٧/٢٠٧، التفسير الكبير: ٢٤/١٦-١٧، الجامع لأحكام القرآن: ١٢/٢٦٨، غرائب القرآن: ١٨/١١٧، تفسير البيضاوي: ٢/١٢٨، البرهان في علوم القرآن: ٣/١٩٢، إرشاد العقل السليم: ٤/٤٧٣.

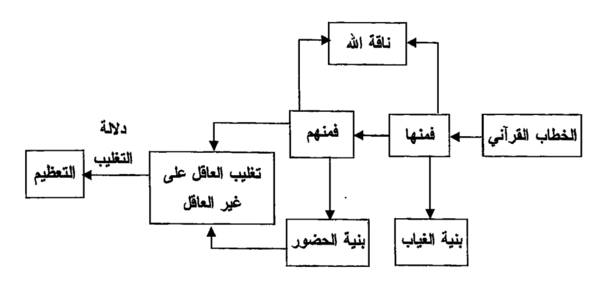
إنَّ لفظ **(الدابة)** يراد بها العموم، وهي تشمل ما يعقل وما لا يعقل، فالانزياح التغليبي كان للعاقل على غيره. يقول الفراء: "كيف قال **(من يمشي)** وإنما تكون **(من)** للناس، وقد جعلها ههنا للبهائم؟ قلت: لَمَّا قال: **(خالق كل دابة)** فدخل فيهم الناس، كَنّى عنهم فقال **(منهم)** لمخالطتهم الناس ثم فسرها لما كنّى عنهم كناية الناس خاصة، وأنت قائل في الكلام: من هذان المقبلان لرجل ودابته أو رجل وبعيره فتقول بـ**(من)** وبـ**(ما)** لاختلاطهما ألا ترى أنك تقول: الرجل وأباعره مقبلون فكأنهم ناس إذا قلت **(مقبلون)**"[1] وقد حلل المبرد هذا الانزياح التغليبي للعاقل على غيره بقوله: "إنما جاز هذا؛ لأنه قد خلط مع الآدميين غيرهم بقوله: **﴿وَاللَّهُ خَلَقَ كُلَّ دَابَّةٍ مِن مَّاءٍ﴾**، وإذا اختلط المذكوران جرى على أحدهما ما هو للآخر إذا كان في مثل معناه؛ لأنَّ المتكلم يبين به ما في الآخر، وإنْ كان لفظه مخالفاً"[2].

ولعل الرسم التوضيحي الذي اجتهدنا في تكوينه يوضح دلالة التغليب في الآية الكريمة وكما يلي:

---

(1) معاني القرآن: ٢/٢٥٧.

(2) المقتضب: ٢/٥٠-٥١.



ومن النصوص القرآنية المشتملة على الانزياح التغليبي قوله تعالى: ﴿فَاطِرُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ جَعَلَ لَكُم مِّنْ أَنفُسِكُمْ أَزْوَاجًا وَمِنَ الأَنْعَامِ أَزْوَاجًا يَذْرَؤُكُمْ فِيهِ لَيْسَ كَمِثْلِهِ شَيْءٌ وَهُوَ السَّمِيعُ البَصِيرُ﴾[1].

إنَّ النص القرآني ها هنا قد وظَّف الانزياح التغليبي للعقلاء على غيرهم توظيفاً جمالياً، عن طريق الضمير في لفظة ﴿يَذْرَؤُكُمْ﴾ وهو خطاب شامل للناس العقلاء والأنعام وكذلك غلَّب المخاطبون على الغائبين[2]. وإلى هذا الرأي ذهبت طائفة مهمة من البلاغيين والمفسرين والنحويين[3].

---

[1] الشورى: ١١.

[2] ينظر: الإيضاح: ٩٢، التسهيل لعلوم التنزيل: ١٨/٤.

[3] ينظر: الكشاف: ١٢٦/٤، التفسير الكبير: ١٢٩/٢٧، مفتاح العلوم: ٤٥٠، تفسير النسفي: ١٥٧٦/٣، تفسير البيضاوي: ٣٦٠/٢، البرهان في علوم القرآن: ١٩٣/٣، الأشباه والنظائر: ١٣٥/١، حاشية الشهاب: ٤١٢/٧، مغني اللبيب: ٧٦٦/٢، روح المعاني: ١٨/١٣، تفسير القاسمي: ٣٥٣/٨.

ويحلل ابن عاشور تحليلاً جمالياً المعاني الكامنة في هذا التغليب فيقول: "وإذا كان الضمير ضمير جماعة العقلاء وكان ضمير خطاب في حين أن الأنعام ليست عقلاء ولا مخاطبة فقد جاء في ذلك الضمير تغليب العقلاء إذ لم يذكر ضمير صالح للعقلاء وغيرهم.. وجاء فيه تغليب الخطاب على الغيبة فقد جاء فيه تغليبان وهو تغليب دقيق إذ اجتمع في لفظ واحد نوعان من التغليب"[1].

ومثله قوله تعالى: ﴿**ثُمَّ اسْتَوَى إِلَى السَّمَاء وَهِيَ دُخَانٌ فَقَالَ لَهَا وَلِلأَرْضِ اِئْتِيَا طَوْعًا أَوْ كَرْهًا قَالَتَا أَتَيْنَا طَائِعِينَ**﴾[2].

فالمتأمل للخطاب القرآني يجده مستعملاً لفظة ﴿**طَائِعِينَ**﴾ ومقتضى الظاهر أن يقول (**طائعتين**) أو (**طائعات**) ولهذا الانزياح دلالته في تغليب العقلاء على غيرهم[3]. فالضمير في لفظة (**أتينا**) للأرض والسماء وجمع السلامة (**طائعين**) يشمل كل من فيهم من الخلائق وفيه تغليب للعقلاء على غيرهم[4]. ودلالة التغليب هنا

---

(1) التحرير والتنوير: ١١٤/٢٥.

(2) فصلت: ١١.

(3) ينظر: معاني القرآن: ١٣/٣، جامع البيان: ٦٤/٢٤، التبيان في تفسير القرآن: ١١١/٩، معالم التنزيل: ٥٩/٤، مجمع البيان: ٧/٩، الجامع لأحكام القرآن: ٣٠١/١٥.

(4) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١٩٢/٣.

التهديد. ولكون العقلاء أكثر وعياً ودراية من غير العقلاء فخاطبهم مباشرة وأدخل غيرهم والله أعلم. فلقد جاء النص الكريم ليصور كثافة الانزياح التغليبي؛ والسبب أن المقصودين بهذا الخطاب هم! وليس السماوات والأرض؛ لأنَّ المعنى أتينا بمن فيها طائعين[1].

ومثله قوله تعالى: ﴿كُلُّ مَنْ عَلَيْهَا فَانٍ﴾[2]، فالضمير ﴿مَنْ﴾ و ﴿عَلَيْهَا﴾ للأرض يدل على ذلك سياق الكلام والمقصود بمن عليها من بني آدم وغيره من الحيوان فانزاحت الجملة التغليبية في تفضيل العاقل وهم بنو آدم على غيرهم من الحيوانات غير العاقلة[3].

ومن النصوص القرآنية المتفق على وجود الانزياح التغليبي للعاقل على غيره قوله- عز وجل- ﴿وَقَالُواْ اتَّخَذَ اللّهُ وَلَدًا سُبْحَانَهُ بَل لَّهُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ كُلٌّ لَّهُ قَانِتُونَ﴾[4].

إنَّ الملاحظ للخطاب القرآني في هذه الآية يجده قائماً على مبدأ الانزياح عبر لفظة ﴿قَانِتُونَ﴾ وهي من أوصاف الذكور العقلاء الذي غلبوا على غيرهم[5]. فالنص أسس حضوراً جمالياً عبر "التغليب

---

(1) ينظر: مشكل إعراب القرآن: ٢/٦٤٠.

(2) الرحمن: ٢٦.

(3) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ٤/٨٤، تفسير البيضاوي: ٢/٤٥٣.

(4) البقرة: ١١٦.

(5) ينظر: البرهان في علوم القرآن: ٣/١٩٣.

تنزيلاً للعقلاء في كونهم من صنع الله بمنزلة مساوية لغيره من بقية الموجودات تصغيراً لشأن كل موجود، والقنوت الخضوع والانقياد من خوف وإنما جاء (**قانتون**) بجمع المذكر السالم المختص بالعقلاء تغليباً؛ لأنهم أهل القنوت عن إرادة وبصيرة"[١].

فضلاً عن إيراد (**ما**) دون (**من**) تحقيراً لهم وتصغيراً لشأنهم[٢]. فنلمس أنَّ دلالة التغليب خرجت للتحقير وتصغير الشأن.

وشبيه بهذا النص أيضاً قوله تعالى: ﴿**إِذْ قَالَ يُوسُفُ لأَبِيهِ يَا أَبتِ إِنِّي رَأَيْتُ أَحَدَ عَشَرَ كَوْكَبًا وَالشَّمْسَ وَالْقَمَرَ رَأَيْتُهُمْ لِي سَاجِدِينَ**﴾[٣].

فالانزياح التغليبي للعاقل على غيره يتمظهر في الضمير الموجود في لفظة ﴿**رَأَيْتُهُمْ**﴾ وهي للعقلاء الذين يغلبون على غيرهم.

كذلك الانزياح التغليبي للفظة ﴿**سَاجِدِينَ**﴾ وهو وصف للعقلاء الذين أجرى عليهم الحكم لكونهم على وتيرتهم[٤].

---

[١] التحرير والتنوير: ٦٦٧/١.

[٢] ينظر: الكشاف: ١٦٨/١، تفسير البيضاوي: ٨٣/١، إرشاد العقل السليم: ١٨٧/١.

[٣] يوسف: ٤.

[٤] ينظر: الكشاف: ٤٤٥/٢، تفسير البيضاوي: ٤٧٦/١، إرشاد العقلي السليم: ٣٦٤/٣.

ومثله أيضاً قوله تعالى: ﴿وَعَلَّمَ آدَمَ الأَسْمَاء كُلَّهَا ثُمَّ عَرَضَهُمْ عَلَى الْمَلاَئِكَةِ فَقَالَ أَنبِئُونِي بِأَسْمَاء هَؤُلاء إِن كُنتُمْ صَادِقِينَ﴾[١].

فلقد جاء الخطاب القرآني ليصور الانزياح التغليبي للعاقل على غيره من خلال التذكير للضمير في لفظة ﴿عَرَضَهُمْ﴾ وهو ضمير العقلاء على غيرهم[٢]. ودلالة التغليب في الآية الكريم التعظيم لتنزيل أسماء العقلاء منزلتهم.

وقال تعالى: ﴿سَبَّحَ لِلَّهِ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَهُوَ الْعَزِيزُ الْحَكِيمُ﴾[٣]، فالنص الكريم أشتمل على قوله: ﴿مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ﴾، وهي تعم الموجودات كلها، فأخذ النص يستعمل لفظة ﴿مَا﴾ وهي اسم موصول يعم العقلاء وغيرهم، لكنها لها وظيفة دلالية هي تغليب العقلاء على غيرهم[٤].

وشبيه بهذا النص قوله تعالى: ﴿وَلِلّهِ يَسْجُدُ مَا فِي السَّمَاوَاتِ وَمَا فِي الأَرْضِ مِن دَآبَّةٍ وَالْمَلآئِكَةُ وَهُمْ لاَ يَسْتَكْبِرُونَ﴾[٥] أنَّ ما يلاحظ

---

[١] البقرة: ٣١.

[٢] ينظر: الكشاف: ١/١١٩، تفسير النسفي: ١/٦٠، البحر المحيط: ١/٢١٢، تفسير البيضاوي: ١/٥١، إرشاد العقل السليم: ١/١١٤.

[٣] الحديد: ١.

[٤] ينظر: إرشاد العقل السليم: ٦/١٩٩، التحرير والتنوير: ٢٧/٣٢٤.

[٥] النحل: ٤٩.

على هذا النص استعمال لفظة ﴿مَا﴾ وكان الأصل أن يستمل لفظة ﴿مِن﴾ وربما نجد في تحليل الزمخشري لهذه الآية ما يوضح السبب فيقول: "فإن قلت: فهلا جيء بـ(من) دون (ما) تغليباً للعقلاء من الدواب على غيرهم؟ قلت؛ لأنه لو جيء بـ(من) لم يكن فيه دليل على التغليب فكأن متناولاً للعقلاء خاصة فجيء بما هو صالح للعقلاء وغيرهم إرادة العموم"[1]، فالملاحظ على هذا الانزياح دلالته العموم.

وشبيه بهذه النصوص قوله تعالى: ﴿لِلّهِ مُلْكُ السَّمَاوَاتِ وَالأَرْضِ وَمَا فِيهِنَّ وَهُوَ عَلَى كُلِّ شَيْءٍ قَدِيرٌ﴾[2] فالناظر إلى الخطاب القرآني يلمس قوله ﴿وَمَا فِيهِنَّ﴾ والأصل (ومن فيهن)، يقول الرازي: "فغلب غير العقلاء على العقلاء، والسبب فيه التنبيه على أن كل المخلوقات مسخرون في قبضة قهره وقدرته وقضائه وقدره"[3]، ويخبرنا الشهاب بهذا الانزياح التغليبي؛ إذ يقول: "وإنما لم يقل (ومن فيهن)؛ لأن المعروف تغليب العقلاء لشرفهم على غيرهم........، وهي الإشارة إلى قصور الجميع عن الربوبية لتجانسهم والله لا يجانسه ولا يشاكله

---

(1) الكشاف: ٥٨٤/٢، وينظر: الدر المصون: ٣٣٣/٤، تفسير البيضاوي: ٥٤٦/١.

(2) المائدة: ١٢٠.

(3) التفسير الكبير: ١١٥/١٢.

شيء وأنهم بمنزلة الجمادات في جنب عظمته وكبريائه"[1]، فالملاحظ أنَّ دلالة التغليب، التعظيم!! لشأن الباري- عز وجل-.

وقال تعالى: ﴿إِن نَّشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيْهِم مِّن السَّمَاء آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ﴾[2].

تفوح الآية الكريمة بعبير الانزياح التغليبي للعاقل على غيره بفضل لفظة ﴿خَاضِعِينَ﴾ وهي جمع مذكر سالم ومقتضى الظاهر أن يكون (خاضعات) بيْد أنَّ التعبير حمل دلالة تغليب العقلاء على غيرهم[3].

فضلاً عن ذلك فهنالك آيات قرآنية أخرى[4]. قمنا بتحليلها تحمل في طياتها الانزياح التغليبي للعاقل على غيره.

---

[1] حاشية الشهاب: ٣٠٧/٣، وينظر: تفسير البيضاوي: ٢٩١/١، إرشاد العقل السليم: ٣٤٦/٢.

[2] الشعراء: ٤.

[3] ينظر: الكشاف: ٣٤٩/٣.

[4] للاستزادة من هذه الآية تنظر: الأنعام: ٣٨، الفرقان: ١٧، الشعراء: ٧٢، فصلت: ٢١، يس: ٤٠، الأنبياء: ٦٥، النحل: ٤٨، هود: ٦٤.

جـ- الانزياح التغليبي للحاضر على الغائب:

ينماز الخطاب القرآني بحسن توظيفه للانزياح التغليبي للحاضر على الغائب، ومن أمثلة هذا التوظيف القرآني قال تعالى: ﴿لَيْسَ عَلَى الأَعْمَى حَرَجٌ وَلا عَلَى الأَعْرَجِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى الْمَرِيضِ حَرَجٌ وَلاَ عَلَى أَنفُسِكُمْ أَن تَأْكُلُوا مِن بُيُوتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ آبَائِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أُمَّهَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ إِخْوَانِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخَوَاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَعْمَامِكُمْ أَوْ بُيُوتِ عَمَّاتِكُمْ أَوْ بُيُوتِ أَخْوَالِكُمْ أَوْ بُيُوتِ خَالاتِكُمْ أَوْ مَا مَلَكْتُم مَّفَاتِحَهُ أَوْ صَدِيقِكُمْ لَيْسَ عَلَيْكُمْ جُنَاحٌ أَن تَأْكُلُوا جَمِيعًا أَوْ أَشْتَاتًا فَإِذَا دَخَلْتُم بُيُوتًا فَسَلِّمُوا عَلَى أَنفُسِكُمْ تَحِيَّةً مِّنْ عِندِ اللَّهِ مُبَارَكَةً طَيِّبَةً كَذَلِكَ يُبَيِّنُ اللَّهُ لَكُمُ الآيَاتِ لَعَلَّكُمْ تَعْقِلُونَ﴾[١].

إنَّ الملاحظ للخطاب القرآني في هذه الآية يجدها تقوم على مبدأ الانزياح بفضل لفظة ﴿أَنفُسِكُمْ﴾ وهي تغليب للمخاطب الحاضر على الغائب[٢]. فضلاً عن ذلك استعمل النص القرآني عبارة ﴿أَن تَأْكُلُوا﴾ والسياق اللفظي يقتضي أن يكون التعبير **(أن يأكلوا)**[٣].

---

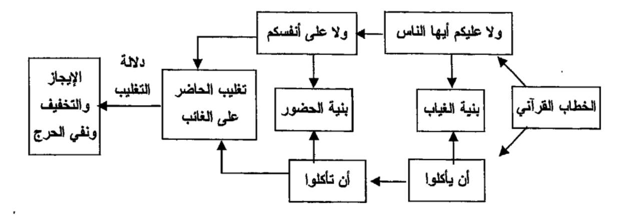
[١] النور: ٦١.

[٢] ينظر: جامع البيان: ١٨/١٣٠، الكشاف: ٣/٣٠٨، الجامع لأحكام القرآن: ١٢/٢٨٧.

[٣] ينظر: جامع البيان: ١٨/١٣٠.

فالانزياح التغليبي جمع بين الطرفين في الاشتراك لنفي الحرج فالخطاب للجميع بلفظ الواحد تغليباً للحاضرين لكونهم أكثر قرباً وأكثر استماعاً وهو خطاب شامل، إيثاراً للإيجاز والتخفيف، ولبعده عن اللبس وهي الدلالة المرجوة لهذا النص.

ويمكن الاستعانة بالرسم التوضيحي الآتي الذي عملناه لنبين دلالة الانزياح التغليبي للحاضر على الغائب وكما يأتي:



ومن هذا النوع قوله تعالى: ﴿وَكَذَلِكَ جَعَلْنَاكُمْ أُمَّةً وَسَطًا لِّتَكُونُواْ شُهَدَاء عَلَى النَّاسِ وَيَكُونَ الرَّسُولُ عَلَيْكُمْ شَهِيدًا وَمَا جَعَلْنَا الْقِبْلَةَ الَّتِي كُنتَ عَلَيْهَا إِلاَّ لِنَعْلَمَ مَن يَتَّبِعُ الرَّسُولَ مِمَّن يَنقَلِبُ عَلَى عَقِبَيْهِ وَإِن كَانَتْ لَكَبِيرَةً إِلاَّ عَلَى الَّذِينَ هَدَى اللّهُ وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ إِنَّ اللّهَ بِالنَّاسِ لَرَؤُوفٌ رَّحِيمٌ﴾[1].

---

[1] البقرة: ١٤٣.

فالانزياح التغليبي للحاضر على الغائب يتمثل في الخطاب للأحياء من المسلمين على الموتى الذين سبقوهم قبل أن تحول القبلة. وهي تغليب للحاضر على الغائب[1]. فالخطاب القرآني "أسند الإيمان إلى الأحياء من المؤمنين والمعنى فيمن مات من المسلمين قبل أن تحول القبلة فقال النبي – ﷺ – كيف بصلاة إخواننا الذين ماتوا على القبلة الأولى فأنزل الله تبارك وتعالى ﴿وَمَا كَانَ اللّهُ لِيُضِيعَ إِيمَانَكُمْ﴾ يريد إيمانهم لأنهم داخلون معهم في الملة"[2] ودلالة الانزياح التغليبي هنا هو العموم.

وقال تعالى: ﴿والَّذِينَ يُؤْمِنُونَ بِمَا أُنزِلَ إِلَيْكَ وَمَا أُنزِلَ مِن قَبْلِكَ وَبِالآخِرَةِ هُمْ يُوقِنُونَ﴾[3].

فالنص الكريم أشتمل على الانزياح في تغليب الحاضر على الغائب وهو تنزيل القرآن الكريم على النبي وأصحابه وعلى غيره من

---

[1] ينظر: معاني القرآن: ١/٨٣-٨٤، جامع البيان: ٢/١٢، التفسير الكبير: ٤/٩٨، غرائب القرآن: ٢/١٢، البحر المحيط: ١/١٠٩، تفسير القاسمي: ١/٤٢٤.

[2] معاني القرآن: ١/٨٣-٨٤.

[3] البقرة: ٤.

الماضيين، فقد عبّر بلفظ الماضي وإن كان بعضه مترقباً تغليباً للموجود على ما لم يوجد[1].

وقال تعالى: ﴿**يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾[2]، فالناظر إلى الانزياح التغليبي في الخطاب للمخاطبين على الغائبين في اللفظ والمعنى على إرادتهم جميعاً[3].

فالنص الكريم أنبنى من على قوله ﴿**لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ**﴾، وهو خطاب للحاضر تغليباً على الغائب والمعنى خلقكم ومن قبلكم خلق أمم سابقة فالخطاب للحاضرين؛ لأنهم المأمورون بالعبادة، بسبب أن (**لعل**) متعلقة بـ(**خلقكم**) لا (**بأعبد**) وهذا من غوامض التغليب كما يرى الخطيب القزويني[4].

وقال تعالى: ﴿**وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَ بَنِي إِسْرَائِيلَ لاَ تَعْبُدُونَ إِلاَّ اللّهَ وَبِالْوَالِدَيْنِ إِحْسَاناً وَذِي الْقُرْبَى وَالْيَتَامَى وَالْمَسَاكِينِ وَقُولُواْ لِلنَّاسِ**

---

[1] ينظر: الكشاف: ٤٣/١، تفسير النسفي: ٢٩/١، تفسير البيضاوي: ٢٠/١، البرهان: ١٩٥/٣، تفسير القاسمي: ٢٤٥/١.

[2] البقرة: ٢١.

[3] ينظر: الكشاف: ٨٧/١، الإيضاح: ٩١، تفسير البيضاوي: ٣٦/١، حاشية الشهاب: ١٣/٢، مغني اللبيب: ٧٦٦/٢، روح المعاني: ١٨٥/١.

[4] ينظر: الإيضاح: ٩٢.

حُسْناً وَأَقِيمُواْ الصَّلاَةَ وَآتُواْ الزَّكَاةَ ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ إِلاَّ قَلِيلاً مِّنكُمْ وَأَنتُم مِّعْرِضُونَ﴾[1].

فالخطاب القرآني أنبنى على الانزياح التغليبي للحاضر على الغائب وذلك في قوله ﴿ثُمَّ تَوَلَّيْتُمْ﴾ ويشمل الحاضرين في عهد رسول الله- ﷺ- ومن قبلهم قاطبة من خلال التغليب[2].

فالنص الكريم عبارة عن خطاب مشافهة[3]. لبني إسرائيل جميعاً فكأنه تعالى يبين أن العهود والمواثيق تلزمكم بالتمسك بها وأنكم تعلمون ما في التوراة من حال الرسول محمد- ﷺ- وصحة نبوته وشبيه بهذه الآية الكريمة المذكورة آنفاً قوله تعالى: ﴿وَإِذَا قِيلَ لَهُمْ آمِنُواْ بِمَا أَنزَلَ اللّهُ قَالُواْ نُؤْمِنُ بِمَآ أُنزِلَ عَلَيْنَا وَيَكْفُرونَ بِمَا وَرَاءهُ وَهُوَ الْحَقُّ مُصَدِّقاً لِّمَا مَعَهُمْ قُلْ فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاء اللّهِ مِن قَبْلُ إِن كُنتُم مُّؤْمِنِينَ﴾[4] يحلل الفراء جمالياً المعاني الكامنة في الانزياح التغليبي للحاضر على الغائب فيقول: "فلذلك صلحت (من قبل) مع قوله ﴿فَلِمَ تَقْتُلُونَ أَنبِيَاء اللّهِ مِن قَبْلُ﴾ وليس الذين خوطبوا بالقتل هم

---

(1) البقرة: ٨٣.

(2) ينظر: تفسير البيضاوي: ٧٣/١، إرشاد العقل السليم: ١٥٨/١، روح المعاني: ٣٠٩/١.

(3) ينظر: التفسير الكبير: ١٥٥/٣.

(4) البقرة: ٩١.

القتلة، وإنما قتل الأنبياء أسلافهم الذين مضوا فتولوهم على ذلك، ومضوا فنسب القتل إليهم"[1].

وإلى الرأي نفسه ذهب الرازي[2]، وأبو السعود[3]، والقاسمي[4].

فالخطاب القرآني أسند الخطاب للحاضرين من اليهود ويريد الماضيين من أسلافهم وهي صيغة الانزياح التغليبي للحاضر على الغائب[5].

ومن النصوص القرآنية المختلفة التي أتفق على وجود التغليب فيها ولاسيما تغليب الحاضر على الغائب قوله تعالى حكاية عن تغليب الحاضرين من اليهود: **﴿وَإِذْ نَجَّيْنَاكُم مِّنْ آلِ فِرْعَوْنَ يَسُومُونَكُمْ سُوءَ الْعَذَابِ يُذَبِّحُونَ أَبْنَاءكُمْ وَيَسْتَحْيُونَ نِسَاءكُمْ وَفِي ذَلِكُم بَلاءٌ مِّن رَّبِّكُمْ عَظِيمٌ﴾**[6]، وقال أيضاً: **﴿وَإِذْ قَتَلْتُمْ نَفْساً فَادَّارَأْتُمْ فِيهَا وَاللّهُ مُخْرِجٌ مَّا كُنتُمْ تَكْتُمُونَ﴾**[7]، وقال تعالى أيضاً: **﴿يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ قَدْ أَنجَيْنَاكُم مِّنْ**

---

[1] معاني القرآن: ٦١/١.

[2] التفسير الكبير: ١٧٠/٣.

[3] إرشاد العقل السليم: ١٦٥/١.

[4] تفسير القاسمي: ٣٥٢/١.

[5] ينظر: إرشاد العقل السليم: ١٦٥/١.

[6] البقرة: ٤٩.

[7] البقرة: ٧٢.

عَدُوِّكُمْ وَوَاعَدْنَاكُمْ جَانِبَ الطُّورِ الْأَيْمَنَ وَنَزَّلْنَا عَلَيْكُمُ الْمَنَّ وَالسَّلْوَى﴾[١].

فالواضح من خلال هذه النصوص أن الباري- عز وجل- أضاف ما كان من نعمة على آبائهم وهم أسلافهم من خلال الانزياح التغليبي للأحياء منهم على الأموات[٢]. فهم على نفس الشاكلة في الكفر والعصيان فالآباء هم الأصل والأبناء فرع لهم، فمال الخطاب القرآني إلى تغليب الحضور على الغياب للدلالة على الأصالة والتبعية.

وقال تعالى: ﴿أَمْ كُنتُمْ شُهَدَاء إِذْ حَضَرَ يَعْقُوبَ الْمَوْتُ إِذْ قَالَ لِبَنِيهِ مَا تَعْبُدُونَ مِن بَعْدِي قَالُواْ نَعْبُدُ إِلَهَكَ وَإِلَهَ آبَائِكَ إِبْرَاهِيمَ وَإِسْمَاعِيلَ وَإِسْحَقَ إِلَهًا وَاحِدًا وَنَحْنُ لَهُ مُسْلِمُونَ﴾[٣] تتبدى لنا من خلال النص القرآني صورة الانزياح التغليبي في إطلاق صيغة الآباء على ما شمل إسماعيل وهو عم ليعقوب وهذا الإطلاق يمثل التغليب؛ لأن العم بمنزلة الأب[٤].

---

[١] طه: ٨٠.

[٢] ينظر: جامع البيان: ١/٢٧٠، الجامع لأحكام القرآن: ١/٤٢٤.

[٣] البقرة: ١٣٣.

[٤] ينظر: فقه اللغة: ٥٥٩، تفسير البيضاوي: ١/٨٩، إرشاد العقل السليم: ١/٢٠٣، التحرير والتنوير: ١/٧١٣.

وقال تعالى: ﴿وَقُلْنَا مِن بَعْدِهِ لِبَنِي إِسْرَائِيلَ اسْكُنُواْ الأَرْضَ فَإِذَا جَاء وَعْدُ الآخِرَةِ جِئْنَا بِكُمْ لَفِيفًا﴾[١].

فالخطاب الإلهي تضمن لفظة ﴿بِكُمْ﴾ وتعني الانزياح التغليبي للمخاطبين على الغائبين، ويراد (بهم) و (بكم)، واللفيف: الجماعات من قبائل شتى ليس أصلهم واحد[٢].

وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اتَّقُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُم مِّن نَّفْسٍ وَاحِدَةٍ وَخَلَقَ مِنْهَا زَوْجَهَا وَبَثَّ مِنْهُمَا رِجَالاً كَثِيرًا وَنِسَاء وَاتَّقُواْ اللّهَ الَّذِي تَسَاءلُونَ بِهِ وَالأَرْحَامَ إِنَّ اللّهَ كَانَ عَلَيْكُمْ رَقِيبًا﴾[٣].

فالنص القرآني ها هنا قد وظّف التغليب توظيفاً جمالياً، فالباري- عز وجل- رقيب على الناس الحاضرين والغائبين من الأمم السالفة، فجمع الخطاب بين الحضور وتغليبهم على الغائبين؛ لأنهم المقصودون بذلك فالتغليب للمخاطب على الغيبة[٤].

وقال تعالى: ﴿أَئِذَا مِتْنَا وَكُنَّا تُرَابًا وَعِظَامًا أَئِنَّا لَمَبْعُوثُونَ* أَوَآبَاؤُنَا الْأَوَّلُونَ* قُلْ نَعَمْ وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ﴾[٥].

---

[١] الإسراء: ١٠٤.

[٢] ينظر: الكشاف: ٤٥/٣، تفسير البيضاوي: ٥٨٤/١.

[٣] النساء: ١.

[٤] ينظر: جامع البيان: ١٥٢/٤، إرشاد العقل السليم: ٩١/٢.

[٥] الصافات: ١٦-١٨.

إننا بتأملنا لهذا النص الكريم نجده مستعملاً لفظة ﴿وَأَنتُمْ دَاخِرُونَ﴾ وهو خطاب للمشركين وآبائهم، وهو تغليب للحاضر على الغائب[١]. فالخطاب للمشركين ولآبائهم الأولون، وهم صاغرون تغليباً للحضور على الأموات الغائبين ولاشتراكهم في الكفر.

وقال تعالى: ﴿فَلَمَّا جَاء سُلَيْمَانَ قَالَ أَتُمِدُّونَنِ بِمَالٍ فَمَا آتَانِيَ اللَّهُ خَيْرٌ مِّمَّا آتَاكُم بَلْ أَنتُم بِهَدِيَّتِكُمْ تَفْرَحُونَ﴾[٢].

فالواضح من خلال النص الكريم أن الخطاب المذكور في لفظة ﴿أَتُمِدُّونَنِ﴾ للرسول والمرسل تغليباً للحاضر على الغائب والذي يؤيد ضمير الرسول في الآية اللاحقة وذلك في قوله تعالى: ﴿ارْجِعْ إِلَيْهِمْ فَلَنَأْتِيَنَّهُمْ بِجُنُودٍ لَّا قِبَلَ لَهُم بِهَا وَلَنُخْرِجَنَّهُم مِّنْهَا أَذِلَّةً وَهُمْ صَاغِرُونَ﴾[٣].

وقال تعالى: ﴿قَالَ فَمَن رَّبُّكُمَا يَا مُوسَى﴾[٤].

فالناظر إلى قوله ﴿فَمَن رَّبُّكُمَا﴾ تغليباً للخطاب الحاضر على الغائب والأصل هو المعنى: فمن ربك وربه يا موسى فالنبي

---

[١] ينظر: إرشاد العقل السليم: ٥/٣٢٢، روح المعاني: ١٢/٧٧.

[٢] النمل: ٣٦.

[٣] النمل: ٣٧، وينظر: تفسير البيضاوي: ٢/١٧٦، إرشاد العقل السليم: ٥/٨٤، روح المعاني: ١٠/١٩٤.

[٤] طه: ٤٩.

موسى- عليه السلام-، أما سيدنا هارون- عليه السلام- هو الأصل في النبوة، فهو وزيره وتابعه فغلبه في الخطاب والدليل على ذلك لكون النداء موجه إلى موسى[1].

فضلاً عن ذلك فهنالك آيات قرآنية أخرى[2]. قمنا بتحليلها ورد فيها الانزياح التغليبي للحاضر على الغائب.

د- الانزياح التغليبي للإسلام على غيره:

لعل الانزياح التغليبي للإسلام على غيره شكل حضوراً طيباً في الخطاب القرآني، ومن نماذج هذا الحضور يبرز قوله تعالى: ﴿**وَلِكُلٍّ دَرَجَاتٌ مِّمَّا عَمِلُوا وَلِيُوَفِّيَهُمْ أَعْمَالَهُمْ وَهُمْ لاَ يُظْلَمُونَ**﴾[3] تتبدى لنا من خلال النص القرآني صورة الانزياح التغليبي للإسلام على غيره في لفظة ﴿**دَرَجَاتٌ**﴾ وهي خاصة بالجنة وكان الأصل أن يضيف معها لفظة (**دركات**) الخاصة بالنار، وهنا يقف الزمخشري في تحليل الآية تحليلاً جمالياً للمعاني الكامنة في الانزياح التغليبي فيقول: "فإن قلت: كيف قيل درجات وقد جاء الجنة درجات، والنار دركات؟ قلت يجوز

---

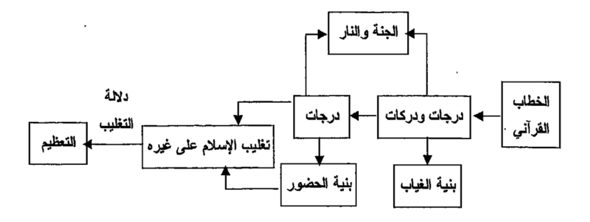
[1] ينظر: التبيان في تفسير القرآن: ٧/١٧٧.

[2] للاستزادة من هذه الآيات تنظر: الأعراف: ١٣٧، الإسراء: ٨٥.

[3] الأحقاف: ١٩.

أن يقال ذلك على وجه التغليب"[1] ودلالة التغليب التعظيم. وقد تابع المفسرون والبلاغيون رأي الزمخشري هذا[2].

ولعل الشكل الآتي الذي اجتهدنا في رسمه من شأنه توضيح دلالة التغليب في النص الكريم وكالآتي:



وقال تعالى: ﴿هَلْ يَنظُرُونَ إِلاَّ أَن تَأْتِيهُمُ الْمَلآئِكَةُ أَوْ يَأْتِيَ رَبُّكَ أَوْ يَأْتِيَ بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ يَوْمَ يَأْتِي بَعْضُ آيَاتِ رَبِّكَ لاَ يَنفَعُ نَفْسًا إِيمَانُهَا لَمْ تَكُنْ آمَنَتْ مِن قَبْلُ أَوْ كَسَبَتْ فِي إِيمَانِهَا خَيْرًا قُلِ انتَظِرُواْ إِنَّا مُنتَظِرُونَ﴾[3] فالخطاب القرآني أشتمل على لفظ القرآن. على

(1) الكشاف: ٢٠٢/٤.

(2) ينظر: التفسير الكبير: ٢٢/٢٨، تفسير النسفي: ١٦٣٩/٣، تفسير البيضاوي: ٣٩٥/٢، البرهان في علوم القرآن: ١٩٦/٣، الإتقان: ١٠٤/٣، إرشاد العقل السليم: ٧٤/٦.

(3) الأنعام: ١٥٨.

طريقة التغليب؛ لأنه الأكثر ممن ينتفع بإيمانه وخيره[1].

وقال تعالى: ﴿وَمَا عَلَّمْنَاهُ الشِّعْرَ وَمَا يَنبَغِي لَهُ إِنْ هُوَ إِلَّا ذِكْرٌ وَقُرْآنٌ مُّبِينٌ﴾[2].

فالنص القرآني أشتمل على وصف رائع للقرآن الكريم وهو تغليب لهذا الكتاب الخالد على غيره بحكم التغليب[3].

وقال تعالى: ﴿أَفَمَنِ اتَّبَعَ رِضْوَانَ اللّهِ كَمَن بَاء بِسَخْطٍ مِّنَ اللّهِ وَمَأْوَاهُ جَهَنَّمُ وَبِئْسَ الْمَصِيرُ* هُمْ دَرَجَاتٌ عِندَ اللّهِ واللّهُ بَصِيرٌ بِمَا يَعْمَلُونَ﴾[4].

فالناظر للنص الكريم يلمس بوضوح تغليب درجات على دركات؛ لأن الدرجات لأهل الرضوان والدركات لأهل السخط، فالجنة مقام لأهل الإيمان والإسلام والنار والدركات لأهل الكفر والطغاة. فالآية تزخر يصور للتغليب الدرجات على الدركات[5]. والدليل في آية

---

[1] ينظر: التحرير والتنوير: ١٤١/٧.

[2] يس: ٦٩.

[3] ينظر: التحرير والتنوير: ٢٦٢/٢٢.

[4] آل عمران: ١٦٢-١٦٣.

[5] ينظر: الكشاف: ٤٧٦/١، روح المعاني: ٩٩/٤.

قرآنية أخرى يصف الحق النار بالدركات وذلك بقوله: ﴿إِنَّ الْمُنَافِقِينَ فِي الدَّرْكِ الأَسْفَلِ مِنَ النَّارِ وَلَن تَجِدَ لَهُمْ نَصِيرًا﴾[1].

هـ- الانزياح التغليبي للمتكلم على المخاطب والمخاطب على الغائب:

يحتل الانزياح التغليبي للمتكلم على المخاطب والعكس مكانة مهمة في الخطاب القرآني ومن ذلك قوله تعالى: ﴿قَالَ اذْهَبْ فَمَن تَبِعَكَ مِنْهُمْ فَإِنَّ جَهَنَّمَ جَزَآؤُكُمْ جَزَاء مَّوْفُورًا﴾[2].

فيطالعنا النص القرآني وهو يحمل في طياته لفظة ﴿جَزَآؤُكُمْ﴾ وكان الأصل أن يقول (**جزاؤهم**) بضمير الغيبة، بيد أنه مال إلى تغليب المخاطب على الغائب وليدخل إبليس معهم في الحكم[3]. وهذا المعنى تطرق إليه البلاغيون والمفسرون[4]. ودلالة هذا الانزياح التغليبي التهديد والوعيد. ويمكن تمثل ذلك بالرسم التوضيحي الذي أنشأناه وكما يلي:

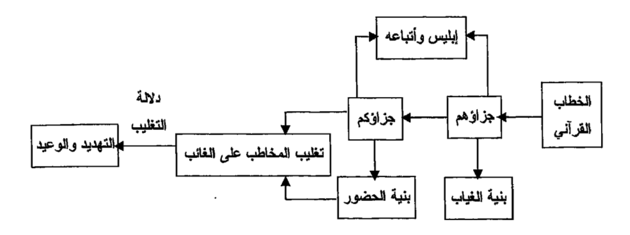
---

(1) النساء: ١٤٥.

(2) الإسراء: ٦٣.

(3) ينظر: التسهيل لعلوم التنزيل: ١٧٥/٢، البرهان في علوم القرآن: ١٩١/٣.

(4) ينظر: الكشاف: ٢٨/٣، التفسير الكبير: ٥/٢١، تفسير النسفي: ٩١٦/٢، تفسير البيضاوي: ٥٧٦/١، الإتقان: ١٠٤/٣، معترك الإقران: ١٧٨/١، إرشاد العقل السليم: ١٤٤/٤، حاشية الشهاب: ٤٦/٦.



وقال تعالى: ﴿يَا أَيُّهَا النَّاسُ اعْبُدُواْ رَبَّكُمُ الَّذِي خَلَقَكُمْ وَالَّذِينَ مِن قَبْلِكُمْ لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾[1].

إننا بتأملنا للخطاب القرآني في هذا النص نجده مستعملاً قوله ﴿لَعَلَّكُمْ تَتَّقُونَ﴾، وهي انزياح تغليبي للمخاطب على الغائب في اللفظ والمعنى على إرادتهم جميعاً[2].

ويحلل ابن جزي الكلبي جمالياً المعاني الكامنة في هذا الانزياح فيقول: "فإن قيل: لِمَ قصر الخطاب بقوله **(لعلكم تتقون)** على المخاطب دون الذين من قبلهم مع أنه أمر الجميع بالتقوى؟ فالجواب: أنه لم يقصره عليهم ولكنه غلب المخاطبين على الغائبين في اللفظ والمراد الجميع"[3]، وإذا ألقينا نظرة فاحصة إلى كتب البلاغيين

---

(1) البقرة: ٢١.

(2) ينظر: الكشاف: ١/٨٧، البحر المحيط: ١/١٤٠، تفسير البيضاوي: ١/٣٦.

(3) التسهيل لعلوم التنزيل: ١/٤١.

والمفسرين نجدها غير بعيدة عن هذا التحليل[1].

وقال تعالى: ﴿وَإِذْ أَخَذْنَا مِيثَاقَكُمْ لاَ تَسْفِكُونَ دِمَاءكُمْ وَلاَ تُخْرِجُونَ أَنفُسَكُم مِّن دِيَارِكُمْ ثُمَّ أَقْرَرْتُمْ وَأَنتُمْ تَشْهَدُونَ﴾[2]، فالخطاب القرآني تفنن في الانزياح التغليبي فأورد النص متلائماً مع سياق الآية التي قبلها في مخاطبة بني إسرائيل فالخطاب إلى الحاضرين منهم والغائبين بصيغة تغليب المخاطب على الغائب[3]. فاليهود جميعاً هم المقصودين بالأمر.

وقال تعالى: ﴿وَأَنزَلْنَا إِلَيْكَ الْكِتَابَ بِالْحَقِّ مُصَدِّقًا لِّمَا بَيْنَ يَدَيْهِ مِنَ الْكِتَابِ وَمُهَيْمِنًا عَلَيْهِ فَاحْكُم بَيْنَهُم بِمَا أَنزَلَ اللّهُ وَلاَ تَتَّبِعْ أَهْوَاءهُمْ عَمَّا جَاءكَ مِنَ الْحَقِّ لِكُلٍّ جَعَلْنَا مِنكُمْ شِرْعَةً وَمِنْهَاجًا وَلَوْ شَاء اللّهُ لَجَعَلَكُمْ أُمَّةً وَاحِدَةً وَلَكِن لِّيَبْلُوَكُمْ فِي مَآ آتَاكُم فَاسْتَبِقُوا الخَيْرَاتِ إِلَى الله مَرْجِعُكُمْ جَمِيعًا فَيُنَبِّئُكُم بِمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[4].

إن الخطاب القرآني هاهنا قد وظف الانزياح التغليبي للمخاطب على الغائب توظيفاً جمالياً من خلال خطابه المتعلق بالرسول

---

[1] ينظر: الإيضاح: ٩١، البرهان في علوم القرآن: ٣/١٩١، الأشباه والنظائر: ١/١٣٥، مغني اللبيب: ٢/٧٦٦.

[2] البقرة: ٨٤.

[3] ينظر: إرشاد العقل السليم: ١/١٥٨، التحرير والتنوير: ١/٥٦٧.

[4] المائدة: ٤٨.

محمد- ﷺ- وقد شمل في الخطاب الأنبياء الذين قبله وأممهم، وهذه سنة العرب عندما تخاطب إنساناً تخاطب الحاضر ويدخل في ذلك الغياب أيضاً[1]. فالنص الكريم موجه للرسول **(المخاطب)** ويغلب فيه الأنبياء الآخرين **(الغائب)** بفضل سمة الانزياح التغليبي.

وقال تعالى: **﴿يَا أَيُّهَا النَّبِيُّ إِذَا طَلَّقْتُمُ النِّسَاء فَطَلِّقُوهُنَّ لِعِدَّتِهِنَّ وَأَحْصُوا الْعِدَّةَ وَاتَّقُوا اللَّهَ رَبَّكُمْ لَا تُخْرِجُوهُنَّ مِن بُيُوتِهِنَّ وَلَا يَخْرُجْنَ إِلَّا أَن يَأْتِينَ بِفَاحِشَةٍ مُّبَيِّنَةٍ وَتِلْكَ حُدُودُ اللَّهِ وَمَن يَتَعَدَّ حُدُودَ اللَّهِ فَقَدْ ظَلَمَ نَفْسَهُ لَا تَدْرِي لَعَلَّ اللَّهَ يُحْدِثُ بَعْدَ ذَلِكَ أَمْرًا﴾**[2].

يتجسد هذا النوع من الانزياح التغليبي في الخطاب القرآني للرسول محمد- ﷺ- والمراد بهذا الخطاب هو وأمته من المؤمنين[3]. والحكم عام فيهم وهو انزياح لتغليب المخاطب على الغائب والتقدير: **(إذا طلقت أنت وأمتك)** فالحكم شامل للرسول وأصحابه وأمته بطريقة التغليب[4].

---

[1] ينظر: جامع البيان: ١٧٦/٦، الكشاف: ٣٣/٢، تفسير البيضاوي: ٢٦٩/١، إرشاد العقل السليم: ٢٨٠/٢، تفسير القاسمي: ١٥٧/٤.

[2] الطلاق: ١.

[3] ينظر: التفسير الكبير: ٢٧/٣٠.

[4] ينظر: تفسير البيضاوي: ٥٠١/٢، إرشاد العقل السليم: ٢٦٠/٦، حاشية الشهاب: ٢٠٤/٨.

وقال تعالى: ﴿تُرْجِي مَن تَشَاء مِنْهُنَّ وَتُؤْوِي إِلَيْكَ مَن تَشَاء وَمَنِ ابْتَغَيْتَ مِمَّنْ عَزَلْتَ فَلَا جُنَاحَ عَلَيْكَ ذَلِكَ أَدْنَى أَن تَقَرَّ أَعْيُنُهُنَّ وَلَا يَحْزَنَّ وَيَرْضَيْنَ بِمَا آتَيْتَهُنَّ كُلُّهُنَّ وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ وَكَانَ اللَّهُ عَلِيمًا حَلِيمًا﴾[1].

لقد تلمسنا عبر الخطاب الموجود في هذه الآية صورة الانزياح في قوله ﴿وَاللَّهُ يَعْلَمُ مَا فِي قُلُوبِكُمْ﴾ وهو خطاب للرسول محمد- ﷺ- ولأزواجه المطهرات أمهات المؤمنين عن طريق تغليب الحاضر المخاطب على الغائب. فضلاً عن ذلك ففيه وعيد لمن لم ترضَ منهن بأمر الله ورسوله- ﷺ- ولذلك فالخطاب جمعهنَّ للاشتراك في ذلك كما هو جمع المنذرين[2].

وقال تعالى: ﴿أَئِنَّكُمْ لَتَأْتُونَ الرِّجَالَ شَهْوَةً مِّن دُونِ النِّسَاء بَلْ أَنتُمْ قَوْمٌ تَجْهَلُونَ﴾[3].

يتجسد هذا النوع من الانزياح التغليبي في لفظة ﴿أَنتُمْ﴾ فغلب المخاطب على الغائب[4].

---

(1) الأحزاب: ٥١.

(2) ينظر: الكشاف: ٥٧٧/٣، روح المعاني: ٢٤٠/١١.

(3) النمل: ٥٥.

(4) ينظر: تفسير النسفي: ١٢٣٧/٢، الإيضاح: ٩١، تفسير البيضاوي: ١٧٩/٢، البرهان: ١٩١/٣، الإتقان: ١٠٣/٣.

وقال تعالى: ﴿وَإِذَا كُنتَ فِيهِمْ فَأَقَمْتَ لَهُمُ الصَّلاَةَ فَلْتَقُمْ طَآئِفَةٌ مِّنْهُم مَّعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ أَسْلِحَتَهُمْ فَإِذَا سَجَدُواْ فَلْيَكُونُواْ مِن وَرَآئِكُمْ وَلْتَأْتِ طَآئِفَةٌ أُخْرَى لَمْ يُصَلُّواْ فَلْيُصَلُّواْ مَعَكَ وَلْيَأْخُذُواْ حِذْرَهُمْ وَأَسْلِحَتَهُمْ وَدَّ الَّذِينَ كَفَرُواْ لَوْ تَغْفُلُونَ عَنْ أَسْلِحَتِكُمْ وَأَمْتِعَتِكُمْ فَيَمِيلُونَ عَلَيْكُم مَّيْلَةً وَاحِدَةً وَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ إِن كَانَ بِكُمْ أَذًى مِّن مَّطَرٍ أَوْ كُنتُم مَّرْضَى أَن تَضَعُواْ أَسْلِحَتَكُمْ وَخُذُواْ حِذْرَكُمْ إِنَّ اللّهَ أَعَدَّ لِلْكَافِرِينَ عَذَابًا مُّهِينًا﴾[١].

فالخطاب مال إلى مخاطبة الرسول محمد (ﷺ) ومن يصلي معه وكل ذلك حدث بفعل الانزياح التغليبي للمخاطب على الغائب والأصل في الكلام (**فليكونوا من ورائك وورائهم**) فهنا الخطاب للمخاطب، وهو النبي، وأدخل الغياب، وهم المؤمنون[٢].

قال تعالى: ﴿**قَالُوا بَلَى قَدْ جَاءنَا نَذِيرٌ فَكَذَّبْنَا وَقُلْنَا مَا نَزَّلَ اللَّهُ مِن شَيْءٍ إِنْ أَنتُمْ إِلَّا فِي ضَلَالٍ كَبِيرٍ**﴾[٣].

فالخطاب الإلهي في هذه الآية للنذير ولأمثاله على سبيل التغليب فالأصل أن يقول (**أنت وأمثالك**) لكنهم أدخلوا في هذا الخطاب بفضل

---

(١) النساء: ١٠٢.

(٢) ينظر: تفسير البيضاوي: ١/٢٣٤.

(٣) الملك: ٩.

تغليب المخاطب على الغائب وشملهم الحكم لاشتراكهم في الإنذار[1].

وقال تعالى: ﴿وَمَا تَكُونُ فِي شَأْنٍ وَمَا تَتْلُو مِنْهُ مِن قُــرْآنٍ وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ إِلاَّ كُنَّا عَلَيْكُمْ شُهُودًا إِذْ تُفِيضُونَ فِيهِ وَمَا يَعْزُبُ عَن رَّبِّكَ مِن مِّثْقَالِ ذَرَّةٍ فِي الأَرْضِ وَلاَ فِي السَّمَاء وَلاَ أَصْغَرَ مِن ذَلِكَ وَلا أَكْبَرَ إِلاَّ فِي كِتَابٍ مُّبِينٍ﴾[2].

فلقد جاء النص القرآني حاملاً في طياته خطاباً موجهاً للرســول محمد- ﷺ- لكون تلاوة القرآن شأن من شؤون الرسول محمد- ﷺ- فهو رأس الأمة وإمامها وقدوتها، فالانزياح التغليبي ورد فــي تعمــيم الخطاب للرسول الكريم ولأمته مخبراً عنهم جميعاً بقوله تعــالى ﴿وَلاَ تَعْمَلُونَ مِنْ عَمَلٍ﴾ من باب تغليب المخاطب على الغائب[3].

وقال تعالى: ﴿إِنَّكَ مَيِّتٌ وَإِنَّهُم مَّيِّتُونَ *ثُمَّ إِنَّكُمْ يَوْمَ الْقِيَامَةِ عِندَ رَبِّكُمْ تَخْتَصِمُونَ﴾[4].

---

[1] ينظر: تفسير البيضاوي: ٥١٠/٢، إرشاد العقــل الــسليم: ٢٧٦/٦، حاشــية الشهاب: ١٢٩/٨.

[2] يونس: ٦١.

[3] ينظر: جامع البيان: ٩٠/١١، الكشاف: ٣٧٠/٢، تفسير البيضاوي: ٤٤٠/١.

[4] الزمر/٣٠-٣١.

فالناظر إلى الخطاب القرآني أنه أشتمل على لفظة ﴿إِنَّكُمْ﴾ والأصل أن يقول (إنك وإياهم) وهو انزياح تغليبي للمخاطب على الغائب[1].

وقال تعالى: ﴿إِذْ قَالَ اللّهُ يَا عِيسَى إِنِّي مُتَوَفِّيكَ وَرَافِعُكَ إِلَيَّ وَمُطَهِّرُكَ مِنَ الَّذِينَ كَفَرُواْ وَجَاعِلُ الَّذِينَ اتَّبَعُوكَ فَوْقَ الَّذِينَ كَفَرُواْ إِلَى يَوْمِ الْقِيَامَةِ ثُمَّ إِلَيَّ مَرْجِعُكُمْ فَأَحْكُمُ بَيْنَكُمْ فِيمَا كُنتُمْ فِيهِ تَخْتَلِفُونَ﴾[2].

فإذا نظرنا إلى الضمير في ﴿مَرْجِعُكُمْ﴾ فهو للنبي عيسى – عليه السلام – وأتباعه وكذلك من كفر به فالخطاب القرآني عمد إلى الانزياح التغليبي للمخاطب على الغائب وضمهم إليه وأخرج الكلام على المخاطبة[3].

وقال تعالى: ﴿قَالاَ رَبَّنَا إِنَّنَا نَخَافُ أَن يَفْرُطَ عَلَيْنَا أَوْ أَن يَطْغَى﴾[4]، فالنص الكريم ورد فيه الانزياح التغليبي للمخاطب على الغائب بلفظة ﴿قَالاَ رَبَّنَا﴾ فأسند القول إليهما مع أن الخطاب موجه إلى

---

[1] ينظر: الكشاف: ٥١/٤، تفسير النسفي: ١٥٠٩/٣، تفسير البيضاوي: ٣٢٥/٢، حاشية الشهاب: ٣٣٨/٧، روح المعاني: ٢٥٣/١٢.

[2] آل عمران: ٥٥.

[3] ينظر: التبيان في تفسير القرآن ٤٧٩/٢، تفسير البيضاوي ١٦٢/١، إرشاد العقل السليم ٣٧٦/١.

[4] طه: ٤٥.

النبي موسى- عليه السلام- بطريق التغليب إيذاناً بأصالته في القول والفعل وتبعية سيدنا هارون- عليه السلام- له في كل الأمور[1].

وقال تعالى: **﴿فَقَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ كَفَرُواْ مِن قِوْمِهِ مَا نَرَاكَ إِلاَّ بَشَرًا مِّثْلَنَا وَمَا نَرَاكَ اتَّبَعَكَ إِلاَّ الَّذِينَ هُمْ أَرَاذِلُنَا بَادِيَ الرَّأْيِ وَمَا نَرَى لَكُمْ عَلَيْنَا مِن فَضْلٍ بَلْ نَظُنُّكُمْ كَاذِبِينَ﴾**[2] إنَّ تجليات الظاهرة الأسلوبية في هذه الآية تكمن في الانزياح التغليبي للمخاطب على الغائب وذلك في قوله **﴿وَمَا نَرَى لَكُمْ﴾** فالخطاب القرآني موجه إلى النبي نوح- عليه السلام- وشمل أتباعه الذين غابوا والأصل **(لك ولمتبعيك)** تغليباً له لتقدم ذكره في بدء الآية **(وما نراك)** وكذلك قوله **(نظنكم)** لنفي الدعوة للنبوة[3].

وقال تعالى: **﴿وَقَرْنَ فِي بُيُوتِكُنَّ وَلاَ تَبَرَّجْنَ تَبَرُّجَ الْجَاهِلِيَّةِ الْأُولَى وَأَقِمْنَ الصَّلَاةَ وَآتِينَ الزَّكَاةَ وَأَطِعْنَ اللَّهَ وَرَسُولَهُ إِنَّمَا يُرِيدُ اللَّهُ لِيُذْهِبَ عَنكُمُ الرِّجْسَ أَهْلَ الْبَيْتِ وَيُطَهِّرَكُمْ تَطْهِيرًا﴾**[4].

ويحلل الطاهر بن عاشور تحليلاً جمالياً المعاني الكامنة في الانزياح التغليبي للمخاطب على الغائب فيقول: "وإنما جيء بالضميرين

---

[1] ينظر: إرشاد العقل السليم: ٢٨٢/٤.

[2] هود: ٢٧.

[3] ينظر: تفسير البيضاوي: ٤٥٤/١، إرشاد العقل السليم: ٣٠٤/٣، حاشية الشهاب: ٩١/٥، روح المعاني: ٢٣٨/١٢.

[4] الأحزاب: ٣٣.

بصيغة جمع المذكر على طريقة التغليب لاعتبار النبي- ﷺ- في هذا الخطاب؛ لأنه رب كل بيت من بيوتهنَّ، وهو حاضر هذا الخطاب؛ إذ هو مبلغه. وفي هذا التغليب إيماء إلى أن هذا التطهير لهن لأجل مقام النبي- ﷺ- لتكون قريناته مشابهات له في الزكاء والكمال"[1].

فضلاً عن ذلك فهنالك آيات قرآنية أخرى[2] قمنا بتحليلها تحمل صفة الانزياح التغليبي للمخاطب على الغائب.

و- الانزياح التغليبي للأكثر على الأقل:

أحتفى الخطاب القرآني بالانزياح التغليبي للأكثر على الأقل بشكل لافت ومميز وهو ما لاحظناه على طائفة من النصوص القرآنية، تستوقفنا بعضها من ذلك قوله تعالى: **﴿قَالَ الْمَلأُ الَّذِينَ اسْتَكْبَرُواْ مِن قَوْمِهِ لَنُخْرِجَنَّكَ يَا شُعَيْبُ وَالَّذِينَ آمَنُواْ مَعَكَ مِن قَرْيَتِنَا أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا قَالَ أَوَلَوْ كُنَّا كَارِهِينَ﴾**[3].

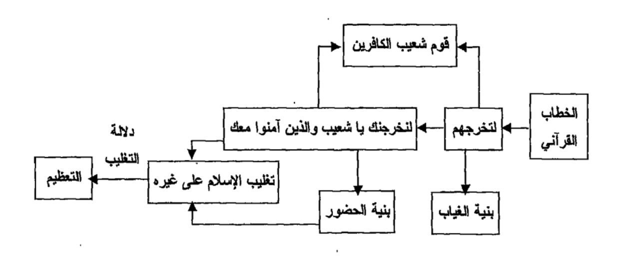
---

[1] التحرير والتنوير: ٢٤٦/٢١.

[2] للاستزادة من هذه الآيات تنظر: النساء: ٢، المائدة: ١٧.

[3] الأعراف: ٨٨.

إنَّ النص القرآني يتجسد فيه الانزياح التغليبي للأكثر على الأقل فلم يكن شعيب- عليه السلام- في ملتهم قط[1]. لكنهم أدخلوه في الخطاب معهم من باب الانزياح التغليبي للجماعة على الواحد والأكثر على الأقل[2]. فالأنبياء لا يجوز عليهم الكفر مطلقاً، لكن الخطاب غلّب الأكثر على الأقل، ودلالة هذا التغليب العموم، ويمكن الاستعانة بالرسم التوضيحي الذي اجتهدنا في إنشائه من خلال الآتي:



(1) ينظر: تفسير النسفي: ٥٣٢/١، البحر المحيط: ٤٣٧/٤، تفسير البيضاوي: ٣٤٩/١.

(2) ينظر: الكشاف: ١٧٨/٢، التفسير الكبير: ١٤٥/١٤، الإيضاح: ٩١، التسهيل لعلوم التنزيل: ٣٩/٢، الدر المصون: ٣٠٢/٣، تفسير البيضاوي: ٣٤٩/١، البرهان: ١٩٤/٣، الإتقان: ١٠٤/٣، معترك الإقران: ١٧٨/١، مغني اللبيب: ٧٦٦/٢.

وقال تعالى: ﴿قَدِ افْتَرَيْنَا عَلَى اللّهِ كَذِبًا إِنْ عُدْنَا فِي مِلَّتِكُم بَعْدَ إِذْ نَجَّانَا اللّهُ مِنْهَا وَمَا يَكُونُ لَنَا أَن نَّعُودَ فِيهَا إِلاَّ أَن يَشَاء اللّهُ رَبُّنَا وَسِعَ رَبُّنَا كُلَّ شَيْءٍ عِلْمًا عَلَى اللّهِ تَوَكَّلْنَا رَبَّنَا افْتَحْ بَيْنَنَا وَبَيْنَ قَوْمِنَا بِالْحَقِّ وَأَنتَ خَيْرُ الْفَاتِحِينَ﴾[1].

لقد تلمسنا سمة الانزياح التغليبي؛ إذ المراد أنَّ الله نجَّى قوم شعيب من تلك الملّة الكافرة، ونظم نفسه في جملتهم على الرغم من أنه بريءٌ منهم، وذلك؛ لأن الخطاب فيه تغليب الأكثر، وهم الجماعة على الأقل وهو سيدنا شعيب –عليه السلام–[2].

وقال تعالى: ﴿أَوْ تَقُولُواْ إِنَّمَا أَشْرَكَ آبَاؤُنَا مِن قَبْلُ وَكُنَّا ذُرِّيَّةً مِّن بَعْدِهِمْ أَفَتُهْلِكُنَا بِمَا فَعَلَ الْمُبْطِلُونَ﴾[3].

فالخطاب القرآني جسَّد هذا النوع من الانزياح التغليبي في قوله: ﴿أَوْ تَقُولُواْ﴾ بالتاء من تلوين الخطاب فقد صرفه عن الرسول

---

(1) الأعراف: ٨٩.

(2) ينظر: الكشاف: ١٧٨/٢، التفسير الكبير: ١٤٥/١٤، تفسير النسفي: ٥٣٢/١، الإيضاح: ٩١، الإتقان: ١٠٤/٣، معترك الإقران: ١٧٨/١، تفسير القاسمي: ١٥١/٥.

(3) الأعراف: ١٧٣.

محمد- ﷺ- إلى معاصريه من اليهود، ودلالة هذا التغليب التشديد في الإلزام أو إليهم وإلى متقدميهم، وهو من تغليب الأكثر على الأقل[1].

وقال تعالى: ﴿تِلْكَ الْقُرَى نَقُصُّ عَلَيْكَ مِنْ أَنبَآئِهَا وَلَقَدْ جَاءتْهُمْ رُسُلُهُم بِالْبَيِّنَاتِ فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ بِمَا كَذَّبُواْ مِن قَبْلُ كَذَلِكَ يَطْبَعُ اللّهُ عَلَىَ قُلُوبِ الْكَافِرِينَ﴾[2].

فالنص الكريم أشتمل على قوله ﴿فَمَا كَانُواْ لِيُؤْمِنُواْ﴾ وقد أسند حكم النكث إلى أكثر أهل القرى، وقد مال إلى الانزياح التغليبي للأكثر على الأقل؛ لأن التصريح في هذا الحكم أنه حكم مذمة ومسبة فناسب الخطاب أن يتحاشى الذين لم تلتصق بهم تلك المسبة[3].

وقال تعالى: ﴿وَقَالَ الَّذِينَ كَفَرُواْ لِرُسُلِهِمْ لَنُخْرِجَنَّكُم مِّنْ أَرْضِنَآ أَوْ لَتَعُودُنَّ فِي مِلَّتِنَا فَأَوْحَى إِلَيْهِمْ رَبُّهُمْ لَنُهْلِكَنَّ الظَّالِمِينَ﴾[4] إنَّ ما يلاحظ على هذا النص الكريم وجود لفظة ﴿لَتَعُودُنَّ﴾ وهي خطاب لكل رسول ومن آمن به فالانزياح التغليبي ورد للأكثر (**الجماعة**) على الأقل (**الواحد**) بسبب أنهم كانوا من قبل في ملتهم أما الرسل فلم

---

[1] ينظر: إرشاد العقل السليم: ٣/٥٠.

[2] الأعراف: ١٠١.

[3] ينظر: التحرير والتنوير: ٨/٢٢١.

[4] إبراهيم: ١٣.

يكونوا في ملتهم قط. فجرى الكلام على حكم الأكثرية بسبب هذا الاختلاط[1].

وقال تعالى: ﴿أُولَئِكَ جَزَآؤُهُمْ أَنَّ عَلَيْهِمْ لَعْنَةَ اللّهِ وَالْمَلآئِكَةِ وَالنَّاسِ أَجْمَعِينَ﴾[2].

فالخطاب الإلهي تضمن اللعنة على هؤلاء وعمَّ جميع الناس وكذلك من يوافقهم، وهو انزياح تغليبي لحكم الأكثر على الأقل، وهم قد لعنوا في الدنيا والآخرة[3].

وقال تعالى: ﴿وَقُل لِّلْمُؤْمِنَاتِ يَغْضُضْنَ مِنْ أَبْصَارِهِنَّ وَيَحْفَظْنَ فُرُوجَهُنَّ وَلاَ يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلاَّ مَا ظَهَرَ مِنْهَا وَلْيَضْرِبْنَ بِخُمُرِهِنَّ عَلَى جُيُوبِهِنَّ وَلا يُبْدِينَ زِينَتَهُنَّ إِلَّا لِبُعُولَتِهِنَّ أَوْ آبَائِهِنَّ أَوْ آبَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ أَبْنَائِهِنَّ أَوْ أَبْنَاء بُعُولَتِهِنَّ أَوْ إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي إِخْوَانِهِنَّ أَوْ بَنِي أَخَوَاتِهِنَّ أَوْ نِسَائِهِنَّ أَوْ مَا مَلَكَتْ أَيْمَانُهُنَّ أَوِ التَّابِعِينَ غَيْرِ أُوْلِي الإِرْبَةِ مِنَ الرِّجَالِ أَوِ الطِّفْلِ الَّذِينَ لَمْ يَظْهَرُوا عَلَى عَوْرَاتِ النِّسَاء وَلاَ يَضْرِبْنَ بِأَرْجُلِهِنَّ لِيُعْلَمَ مَا يُخْفِينَ مِن زِينَتِهِنَّ وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا

---

[1] ينظر: الكشاف: ٣٥٠/٢، تفسير النفسي: ٨٢١/٢، غرائب القرآن: ١١٣/١٣، البحر المحيط: ٥٢٦/٥، تفسير البيضاوي: ٥١٥/١، حاشية الشهاب: ٢٥٨/٥، روح المعاني: ١٨٩/٧.

[2] آل عمران: ٨٧.

[3] ينظر: روح المعاني: ٢٠٩/٢.

﴿أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ لَعَلَّكُمْ تُفْلِحُونَ﴾[1]، فالناظر إلى الانزياح التغليبي للأكثر على الأقل يجده في قوله: ﴿وَتُوبُوا إِلَى اللَّهِ جَمِيعًا أَيُّهَا الْمُؤْمِنُونَ﴾، فهو "تلوين للخطاب، وصرفٌ له عن رسول الله -ﷺ- إلى الكل بطريق التغليب لابراز كمال العناية بما في حيزه من أمر التوبة، وأنها من معظمات المهمات الحقيقية بأن يكون- سبحانه وتعالى- هو الآمر بها لما أنه لا يكاد يخلو أحد من المكلفين عن نوع تفريط في إقامة مواجب التكاليف كما ينبغي"[2].

فضلاً عن ذلك فهنالك آيات قرآنية أخرى تضمنت الانزياح النغليبي للأكثر على الأقل[3].

ز- الانزياح التغليبي للجنس الكثير الأفراد على غيره:

اهتم الخطاب القرآني اهتماماً وافراً بالانزياح التغليبي للجنس الكثير الأفراد على غيره ومنه قال تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلاَئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى وَاسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنَ الْكَافِرِينَ﴾[4].

---

(1) النور: ٣١.

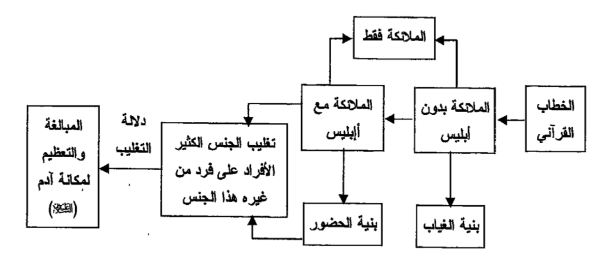
(2) إرشاد العقل السليم: ٤/٤٥٤.

(3) للاستزادة من هذه الآيات تنظر: البقرة: ٢٠٨، التوبة: ٥، طه: ٤٧.

(4) البقرة: ٣٤.

فالخطاب القرآني تضمن قوله: (إبليس) وقد عدّه من الملائكة على الرغم من أن أرجح الأقوال تقول بأنه من الجن، فعمل الانزياح التغليبي للجنس الكثير وهم (الملائكة) على الأقل وهو (الجن)[1]. ودلالته المبالغة والتعظيم لمكانة سيدنا آدم -عليه السلام-.

ويمكن الاستعانة بالرسم التوضيحي الذي عملناه لنبين دلالة التغليب في النص القرآني الكريم وكما يلي:



ومثل هذا الخطاب أيضاً قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلَائِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ* إِلاَّ إِبْلِيسَ اسْتَكْبَرَ وَكَانَ مِنْ الْكَافِرِينَ﴾[2]، فالخطاب القرآني عدَّ إبليس من الملائكة وهو في الأصل من الجن بيْد أنَّ النص الكريم

[1] ينظر: الكشاف: ١/١٢٠، الإيضاح: ٩١، تفسير البيضاوي: ١/٥٣.
[2] ص: ٧٣-٧٤.



انزاح انزياحاً تغليبياً للجنس الكثير الأفراد على الأقل، فالملائكة هم الجمع وإبليس هو الواحد فقط[1].

وقريب من هذه النصوص القرآنية قوله تعالى: ﴿فَسَجَدَ الْمَلآئِكَةُ كُلُّهُمْ أَجْمَعُونَ* إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى أَن يَكُونَ مَعَ السَّاجِدِينَ﴾[2].

فالخطاب القرآني يبين كيف سجد الملائكة لسيدنا آدم -عليه السلام- لكنه استثنى إبليس أبى ولم يسجد، فغلب اسم الملائكة على إبليس، وهو من الجن كذلك أكّد النص القرآني بتأكيدين هما ﴿كُلُّهُمْ﴾ و ﴿أَجْمَعُونَ﴾ فالتأكيد بالكل للإحاطة والتأكيد بـ**(أجمعون)** للدلالة على أنهم سجدوا مجتمعين ثم أستثنى إبليس. وهذا من الانزياح التغليبي للجنس الكثير الأفراد على غيره[3].

ومثله أيضاً قوله تعالى: ﴿وَلَقَدْ خَلَقْنَاكُمْ ثُمَّ صَوَّرْنَاكُمْ ثُمَّ قُلْنَا لِلْمَلآئِكَةِ اسْجُدُواْ لآدَمَ فَسَجَدُواْ إِلاَّ إِبْلِيسَ لَمْ يَكُن مِّنَ السَّاجِدِينَ﴾[4]،

---

[1] ينظر: الكشاف: ٣٢/٤، البرهان: ١٩٥/٣، إرشاد العقل السليم: ١٨/٤، حاشية الشهاب: ١٣٣/٢، كشف اصطلاحات الظنون: ٤٨٩/١.

[2] الحجر: ٣٠-٣١.

[3] ينظر: الكشاف: ٥٥٧/٢، تفسير النسفي: ٨٤٣/٢، تفسير البيضاوي: ٥٢٩/١، البرهان: ١٩٥/٣، الإتقان: ١٠٤/٣، معترك الأقران: ١٧٨/١.

[4] الأعراف: ١١.

فالنص الكريم عدَّ إبليس من الملائكة على أساس الانزياح التغليبي للجنس الكثير الأفراد على غيره[1].

وشبيه بالنصوص القرآنية التي أوردناها في قوله تعالى: ﴿وَإِذْ قُلْنَا لِلْمَلَائِكَةِ اسْجُدُوا لآدَمَ فَسَجَدُوا إِلاَّ إِبْلِيسَ أَبَى﴾[2]، فيطالعنا الخطاب القرآني وهو يدخل إبليس مع الملائكة على الرغم من أنه جني، ونكتة هذا الاستعمال هو الانزياح التغليبي للجنس الكثير الأفراد على غيره. وأخرج الكلام على أساس الاستثناء[3].

ح- الانزياح التغليبي لما وقع بوجه مخصوص على ما وقع بغير هذا الوجه :

ويمثل هذا النوع من الانزياح التغليبي ملمحاً أسلوبياً واضحاً في الخطاب القرآني فقد قال تعالى: ﴿ذَلِكَ بِمَا قَدَّمَتْ أَيْدِيكُمْ وَأَنَّ اللَّهَ لَيْسَ بِظَلَّامٍ لِّلْعَبِيدِ﴾[4]، فالخطاب الإلهي أشتمل على الانزياح التغليبي لما وقع بوجه مخصوص وهي **(ذكر الأيدي)**، لأن أكثر الأعمال الإنسانية

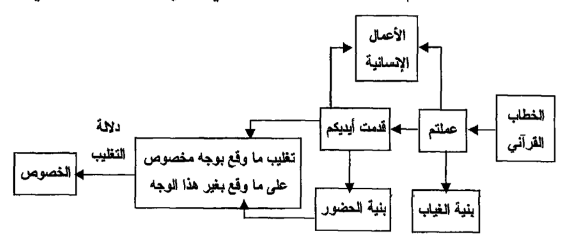
---

[1] ينظر: مفتاح العلوم: ٤٥٠، التحرير والتنوير: ٨/٣٠.
[2] طه: ١١٦.
[3] ينظر: الكشاف: ٣/١٦٩.
[4] آل عمران: ١٨٢.

تزاول بها، فكان الجمع بالأيدي تغليباً على غيرها[1]، ودلالته الخصوص.

وقد استوقفت هذه الآية النسفي فقال: "ذلك العذاب بما قدمتم من الكفر والمعاصي والإضافة إلى اليد؛ لأن أكثر الأعمال يكون بالأيدي فجعل كل عمل كالواقع بالأيدي على سبيل التغليب ولأنه يقال للأمر بالشيء فاعله فذكر الأيدي للتحقيق يعني انه فعل نفسه لا غيره بأمره"[2].

والنص الكريم يمكن تمثله بالشكل الآتي الذي رسمناه وكما يلي:



وقال تعالى: ﴿هُوَ الَّذِي أَنزَلَ مِنَ السَّمَاءِ مَاءً لَّكُم مِّنْهُ شَرَابٌ وَمِنْهُ شَجَرٌ فِيهِ تُسِيمُونَ﴾[3].

---

[1] ينظر: البرهان في علوم القرآن: ١٩٦/٣.

[2] تفسير النسفي: ٢٧٥/١.

[3] النحل: ١٠.

فالنص الكريم أشتمل على لفظة (شَجَرٌ) وهو "يطلق على النبات ذي الساق الصلبة، ويطلق على مطلق العشب والكلأ تغليباً وروعي هذا التغليب هنا؛ لأنه غالب مرعى أنعام أهل الحجاز لقلة الكلأ في أرضهم فهم يرعونه الشعاري والغابات"[١].

وقال تعالى أيضاً: ﴿وَالَّذِي خَلَقَ الأَزْوَاجَ كُلَّهَا وَجَعَلَ لَكُم مِّنَ الْفُلْكِ وَالأَنْعَامِ مَا تَرْكَبُونَ* لِتَسْتَوُوا عَلَى ظُهُورِهِ ثُمَّ تَذْكُرُوا نِعْمَةَ رَبِّكُمْ إِذَا اسْتَوَيْتُمْ عَلَيْهِ وَتَقُولُوا سُبْحانَ الَّذِي سَخَّرَ لَنَا هَذَا وَمَا كُنَّا لَهُ مُقْرِنِينَ* وَإِنَّا إِلَى رَبِّنَا لَمُنقَلِبُونَ﴾[٢]، فالآية الكريمة تضمنت الانزياح التغليبي لما وقع بوجه مخصوص وهو (الإستواء) ويعني الاعتلاء، والظهور جمع كلمة ظهر، والطهر من علائق الأنعام لا من علائق الفلك فعمل التغليب على الانزياح بلفظ دون آخر[٣].

---

(١) التحرير والتنوير: ٩١/١٣.

(٢) الزخرف: ١٢-١٤.

(٣) ينظر: التحرير والتنوير: ٢٢٢/٢٥.

ط- الانزياح التغليبي للأشهر:

شاع في النص القرآني الانزياح التغليبي للأشهر واحتل مساحة ليست بالقليلة ومن ذلك قال تعالى: **﴿حَتَّى إِذَا جَاءنَا قَالَ يَا لَيْتَ بَيْنِي وَبَيْنَكَ بُعْدَ الْمَشْرِقَيْنِ فَبِئْسَ الْقَرِينُ﴾**[1].

إنَّ الملاحظ لهذه الآية يجدها تقوم على مبدأ الانزياح التغليبي للأشهر وذلك بقوله: **﴿الْمَشْرِقَيْنِ﴾** فالذي عليه جميع الدارسين أنّه أراد **(المشرق والمغرب)** لكنه أختار الأشهر بينهما فقال المشرقين[2]. ودلالة هذا التغليب هو التعظيم.

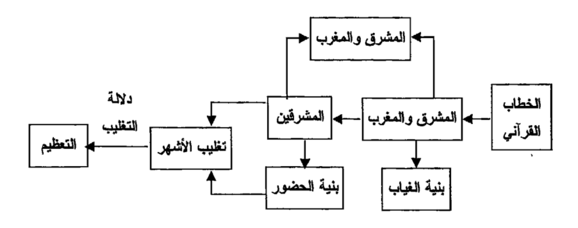
ويمكننا توضيح دلالة التغليب في النص الكريم عبر الرسم التوضيحي الذي اجتهدنا في تكوينه وعلى النحو الآتي:

---

[1] الزخرف: ٣٨.

[2] ينظر: معاني القرآن: ٣/٣٣-٣٤، التفسير الكبير: ١٨٣/٢٧، إملاء ما من به الرحمن: ٢٢٧/٢، الجامع لأحكام القرآن: ٧٩/١٦، تفسير النسفي: ١٦٠١/٣، التسهيل لعلوم التنزيل: ٢٩/٤، تفسير البيضاوي: ٣٧٣/٢، البرهان في علوم القرآن: ١٩٦/٣، الإتقان: ١٠٤/٣، معترك الأقران: ١٧٨/١، إرشاد العقل السليم: ٣٤/٦، كشاف اصطلاحات الظنون: ٤٨٩/١، تفسير القاسمي: ٣٩١/٨.





وقال تعالى: ﴿أَمَّن جَعَلَ الأَرْضَ قَرَارًا وَجَعَلَ خِلاَلَهَا أَنْهَارًا وَجَعَلَ لَهَا رَوَاسِيَ وَجَعَلَ بَيْنَ الْبَحْرَيْنِ حَاجِزًا أَإِلَهٌ مَّعَ اللَّهِ بَلْ أَكْثَرُهُمْ لاَ يَعْلَمُونَ﴾[1]، فالناظر إلى الخطاب القرآني في الآية الكريمة أنه أطلق لفظ ﴿الْبَحْرَيْنِ﴾ ويراد بهما الأول البحر الملح الأجاج، والآخر النهر العذب الفرات، وقد أطلق النص الكريم لفظ البحرين على سبيل التغليب، لكونه مادتهما التي يشتركان فيها هي الماء فعمل الانزياح التغليبي للأشهر على إبراز النواحي الجمالية في التعبير القرآني الرائع[2].

فضلاً عن ذلك فهنالك آيات قرآنية أخرى[3] قمنا بتحليلها ورد فيها الانزياح التغليبي للأشهر.

---

(1) النمل: ٦١.

(2) ينظر: في ظلال القرآن: ٢٦٥٧/١٩.

(3) للاستزادة من هذه الآيات تنظر: المائدة/٩٣، الرحمن/٢١-٢٢.

ي- الانزياح التغليبي لليالي على الأيام:

وهو نوع آخر من أنواع الانزياح التغليبي بتغليب الليالي على الأيام وقد شاع في الخطاب القرآني من ذلك قال تعالى: ﴿وَالَّذِينَ يُتَوَفَّوْنَ مِنكُمْ وَيَذَرُونَ أَزْوَاجًا يَتَرَبَّصْنَ بِأَنفُسِهِنَّ أَرْبَعَةَ أَشْهُرٍ وَعَشْرًا فَإِذَا بَلَغْنَ أَجَلَهُنَّ فَلاَ جُنَاحَ عَلَيْكُمْ فِيمَا فَعَلْنَ فِي أَنفُسِهِنَّ بِالْمَعْرُوفِ وَاللّهُ بِمَا تَعْمَلُونَ خَبِيرٌ﴾(١).

فالخطاب القرآني في هذه الآية تضمن الانزياح التغليبي لليالي على الأيام، فالسياق اللفظي يقتضي أن يكون اللفظ (عشرة) وليس ﴿عَشْرًا﴾، وفي هذا الموضع يخبرنا الفراء عن السبب فيقول: "إنَّ العرب إذا أبهمت العدد من الليالي والأيام غلبوا عليه الليالي حتى أنهم ليقولون: قد صمنا عشراً من شهر رمضان لكثرة تغليبهم الليالي على الأيام"(٢).

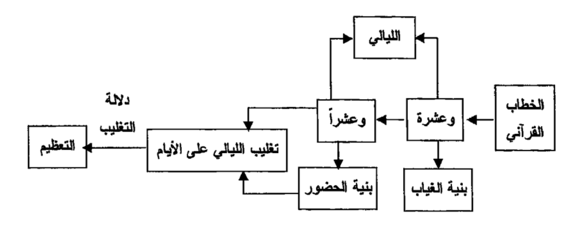
---

(١) البقرة: ٢٣٤.

(٢) معاني القرآن: ١/١٥١.



وقد تابع العلماء الذين جاءوا بعد الفراء هذا التخـــريج ووافقـــوه رأيه[1]. ويمكن الاستعانة بالشكل التوضيحي الآتي الذي رسمناه لنبين دلالة التغليب وكما يأتي:



ومن الآيات التي أشتمل عليها الخطـــاب القرآنـــي وتـــضمنت الانزياح التغليبي لليالي على الأيام قوله تعالى: ﴿فَإِنِ اسْتَكْبَرُوا فَالَّذِينَ عِندَ رَبِّكَ يُسَبِّحُونَ لَهُ بِاللَّيْلِ وَالنَّهَارِ وَهُمْ لاَ يَسْأَمُونَ﴾[2].

وقوله تعالى: ﴿وَاللَّيْلِ إِذَا يَغْشَى * وَالنَّهَارِ إِذَا تَجَلَّى﴾[3].

وقوله تعالى: ﴿قَالَ رَبِّ إِنِّي دَعَوْتُ قَوْمِي لَيْلاً وَنَهَارًا﴾[4].

---

[1] ينظر: جامع البيان: ٣١٩/٢، الكشاف: ٢٥٥/١، الجـــامع لأحكـــام القـــرآن: ١٧٦/٣.

[2] فصلت: ٣٨.

[3] الليل: ١-٢.

[4] نوح: ٥.

وقوله تعالى: ﴿سَخَّرَهَا عَلَيْهِمْ سَبْعَ لَيَالٍ وَثَمَانِيَةَ أَيَّـامٍ حُـسُومًا فَتَرَى الْقَوْمَ فِيهَا صَرْعَى كَأَنَّهُمْ أَعْجَازُ نَخْلٍ خَاوِيَةٍ﴾[1].

وقوله تعالى: ﴿وَجَعَلْنَا بَيْنَهُمْ وَبَيْنَ الْقُرَى الَّتِي بَارَكْنَا فِيهَا قُرًى ظَاهِرَةً وَقَدَّرْنَا فِيهَا السَّيْرَ سِيرُوا فِيهَا لَيَالِيَ وَأَيَّامًا آمِنِينَ﴾[2].

فالخطاب القرآني انزاح إلى تغليب الليالي على الأيام[3].

---

(1) الحاقة: ٧.

(2) سبأ: ١٨.

(3) ينظر: الأزمنة والأمكنة: ٢/٢٧٤، المخصص: ١٧/١١٥، الجامع لأحكام القرآن: ٣/١٧٦

نتائج البحث

يمكننا أخيراً أن نستخلص بعض النتائج المهمة وهي كما يلي:

١- يعد مصطلح التغليب من المصطلحات التي وقف عندها الدارسون العرب من نحويين ولغويين وبلاغيين وحاول كل منهم أن يعطي رأياً فيه يعد هذا الرأي قراءة معاصرة لذلك الوقت القديم.

٢- يمكن عدّ التغليب وجه مهم من وجوه المجاز، فالعدول وهو الصيغة الثابتة للمجاز، يمكن أن تنطبق على التغليب.

٣- إنَّ التغليب كمبحث بلاغي لاقى اهتماماً واسعاً من النحويين واللغويين وكانت لهم نظرات أسلوبية جميلة تظهر الجانب الجمالي من خلال الاستعمال.

٤- أشتمل الخطاب القرآني على أنواع عدة من الانزياحات التغليبية، منها تغليب المذكر على المؤنث، والعاقل على غيره والحاضر على الغائب... الخ وكل هذه الاستعمالات كانت لدواعي بلاغية تفهم من خلال دلالة النص القرآني الذي يحتويها.

٥- يمكن القول أنَّ القرآن الكريم أعطى لمبحث التغليب أهمية كبيرة في إيصال المعاني إلى المتلقي وذلك عبر التلوين في استعمال هذا الخطاب تبعاً للسياق التي توجد فيه.

٦- إنَّ دراسة النصوص التراثية البالغة الأهمية كالقرآن الكريم على وفق رؤية أسلوبية حديثة تأخذ من التراث وتقرأهُ بروح معاصرة يفهمها



الإنسان المعاصر بيسر وسهولة يمكن أن تفتح الباب لدراسة مباحث بلاغية أخرى شبيهة لموضوعنا.

وبعدُ؛

فإننا نستحضر قول الباري تبارك وتعالى؛ إذ يقول: **﴿وَهُوَ اللَّهُ لاَ إِلَهَ إِلاَّ هُوَ لَهُ الْحَمْدُ فِي الأُولَى وَالآخِرَةِ وَلَهُ الْحُكْمُ وَإِلَيْهِ تُرْجَعُونَ﴾**[1].

والحمد لله رب العالمين.

---

(1) القصص: ٧٠.



المصادر والمراجع

- القرآن الكريم.

المصادر المطبوعة:

١. **الإتقان في علوم القرآن:** د. جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت٩١١هـ)، تحقيق: أحمد بن علي، دار الحديث، القاهرة ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م (د. ط).

٢. **الأزمنة والأمكنة:** لأبي علي المرزوقي الأصفهاني (ت٤٥٣هـ)، حيدر آباد، الدكن، الهند، ط١، ١٣٣٢هـ.

٣. **الأشباه والنظائر في النحو:** جلال الدين عبد الرحمن السيوطي (ت٩١١هـ)، حيدر آباد، الدكن، الهند، ط٢، ١٣٥٩هـ.

٤. **إملاء ما من به الرحمن من وجوه الإعراب والقراءات في جميع القرآن:** لأبي البقاء العكبري (ت٦١٦هـ)، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، شركة مصطفى البابي الحلبي وأولاده، ط١، ١٣٨٥هـ-١٩٦١م.

٥. **الانزياح في التراث النقدي والبلاغي:** د. أحمد محمد ويس، اتحاد الكتاب العرب، دمشق، ٢٠٠٢م (د. ط).

٦. **الإيضاح في علوم البلاغة (المعاني والبيان والبديع) مختصر تلخيص المفتاح:** الخطيب القزويني، (ت٧٣٩هـ)، راجعه وصححه وخرج آياته الشيخ بهيج غزاوي، دار إحياء العلوم، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤١٢هـ-١٩٩٣م.

٧. **البرهان في علوم القرآن:** بدر الدين محمد بن عبد الله الزركشي (ت٧٩٤هـ)، تحقيق: محمد أبو الفضل إبراهيم، شركة أبناء شريف الانصاري المكتبة العصرية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٥هـ- ٢٠٠٤م.

٨. **التبيان في تفسير القرآن:** لأبي جعفر الطوسي (ت٤٦٠هـ)، تحقيق: أحمد حبيب قصير العاملي، النجف، ١٣٧٦هـ- ١٩٥٧م، (د. ط).

٩. **التسهيل لعلوم التنزيل:** محمد بن أحمد ابن جزي الكلبي (ت٧٤١هـ)، مطبعة مصطفى محمد، مصر، ط١، ١٣٥٥هـ.

١٠. التعريفات: لأبي الحسن علي بن محمد بن علي السيد الجرجاني (ت٨١٦هـ) مطبعة الاتحاد المصري، القاهرة، مكتبة محمود علي صبيح، (د. ط)، (د. ت).

١١. **تفسير أبي السعود المسمى (إرشاد العقل السليم إلى مزايا القرآن الكريم):** محمد بن محمد العماد الغرناطي أبو السعود (ت٩٨٢هـ)، وضع حواشيه عبد اللطيف عبد الرحمن، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٩هـ-١٩٩٩م.

١٢. **تفسير البحر المحيط:** أثير الدين محمد بن يوسف بن علي بن يوسف ابن حيان الشهير بأبي حيان الأندلسي (ت٧٥٤هـ)، حققه: د. عبد الرزاق المهدي، دار إحياء التراث العربي، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

١٣. **تفسير البيضاوي (أنوار التنزيل وأسرار التأويل):** ناصر الدين أبي سعيد عبد الله بن عمر بن محمد الشيرازي البيضاوي (ت٦٨٥هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٨م.

١٤. **تفسير التحرير والتنوير:** محمد الطاهر بن عاشور (ت ١٩٧٣م)، مؤسسة التاريخ، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ-٢٠٠٠م.

١٥. **تفسير الخازن (لباب التأويل في معاني التنزيل):** علاء الدين علي البغدادي الشهير بالخازن (ت٧٢٥هـ)، دار الكتب العربية الكبرى (د. ت)،(د. ط).

١٦. **تفسير القاسمي المسمى محاسن التأويل:** تأليف الإمام العلامة محمد جمال الدين القاسمي (ت١٣٣٢هـ-١٩١٤م)، تحقيق: محمد باسل عيون السود، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٣م.

١٧. **التفسير الكبير أو مفاتيح الغيب:** للإمام فخر الدين محمد بن عمر علاء الدين علي بن محمد بن إبراهيم بن الحسين بن الحسن الرازي (ت٦٠٦هـ)، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط٢، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٤م.

١٨. **تفسير الكشاف عن حقائق التنزيل وعيون الأقاويل في وجوه التأويل:** لأبي القاسم جار الله محمود بن عمر الزمخشري الخوارزمي (ت٤٦٧-٥٣٨هـ)، اعتنى به وخرج أحاديثه وعلق عليه يوسف الحمادي، مكتبة مصر- الفجالة (د. ت)، (د. ط).

١٩. **تفسير النسفي المسمى بمدارك التنزيل وحقائق التأويل:** تأليف الإمام الجليل العلامة أبي البركات عبد الله بن أحمد بن محمود السنفي (ت ٧١٠هـ)، قدم له الشيخ قاسم الشماعي الرفاعي، راجعه الشيخ إبراهيم محمد رمضان، دار القلم، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٠٨هـ-١٩٨٩م.

٢٠. **جامع البيان في تفسير القرآن:** لأبي جعفر محمد بن جرير الطبري (ت٣١٠هـ)، دار المعرفة للطباعة والنشر بيروت- لبنان، ط٤، ١٤٠٠هـ-١٩٨٠م.

٢١. **الجامع لأحكام القرآن:** لأبي عبد الله محمد بن أحمد الانصاري القرطبي (ت٦٧١هـ)، تحقيق: عبد الرزاق المهدي، دار الكتاب العربي بيروت- لبنان، ١٤٢٤هـ-٢٠٠٤م.

٢٢. **حاشية السيد الشريف أبي الحسن الجرجاني على الكشاف:** طبعة طهران، افتاب (د. ت)، (د. ط).

٢٣. **حاشية الشهاب المسماة (عناية القاضي وكفاية الراضي) تفسير البيضاوي:** للشيخ أحمد بن محمد بن عمر الملقب بشهاب الدين الخفاجي المصري (ت١٠٦٩هـ)، دار صادر بيروت، (د.ت)، (د.ط).

٢٤. **الخصائص:** أبي الفتح عثمان بن جني (ت٣٩٢هـ)، تحقيق: محمد علي النجار، دار الكتب المصرية، القاهرة، ١٣٧٦هـ-١٩٥٦م، (د. ط).

٢٥. **الدر المصون في علوم الكتاب المكنون:** أحمد بن يوسف السمين الحلبي (ت ٧٥٦هـ)، تحقيق الشيخ علي محمد معوض وآخرين، دار الكتب العلمية، بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٤هـ-١٩٩٤م.

٢٦. **روح المعاني في تفسير القرآن العظيم والسبع المثاني:** الآلوسي البغدادي (ت١٢٧٠هـ)، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٢هـ-٢٠٠١م.

٢٧. **شرح الرضي على كافية ابن الحاجب:** رضي الدين محمد بن الحسن الاستربادي (ت ٦٨٦هـ)، مراجعة: يوسف حسن عمر، جامعة فاريونس ببنغازي، ليبيا، ط٢، ١٩٩٦م.

٢٨. **شروح التلخيص:** سعد الدين التفتازاني والمغربي والسبكي، دار الإرشاد الاسلامي، بيروت- لبنان.

٢٩. **ظاهرة التغليب في العربية ظاهرة لغوية اجتماعية:** تأليف الدكتور عبد الفتاح الحموز، جامعة مؤتة، ط١، ١٩٩٣م.

٣٠. **غرائب القرآن ورغائب الفرقان:** نظام الدين الحسن بن محمد بن الحسين المشتهر بنظام الأعرج النيسابوري (ت ٧٢٨هـ)، تحقيق: إبراهيم عطوة عوض، مكتبة مصطفى البابي الحلبي وأولاده بمصر، ط١، ١٣٨٤هـ- ١٩٦٤م.

٣١. **فقه اللغة وسر العربية:** عبد الملك بن محمد الثعالبي (ت ٤٢٩هـ) المكتبة التجارية الكبرى، مطبعة الاستقامة، القاهرة، ١٣٧٨هـ-١٩٥٩م، (د. ط).

٣٢. **في ظلال القرآن:** سيد قطب، دار الشروق القاهرة، ط٣٥، ١٤٢٥هـ-٢٠٠٥م.

٣٣. **الكتاب:** أبو بشر عمرو بن عثمان بن قنبر سيبويه (ت ١٨٠هـ) تحقيق: د. اميل بديع يعقوب، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٠هـ- ١٩٩٩م.

٣٤. **كشاف اصطلاحات الفنون:** محمد علي بن علي التهانوي (ت١١٥٨هـ)، تحقيق: د. علي دحروج، تقديم ومراجعة: د. رفيق العجم، مكتبة لبنان- بيروت، ط١، ١٩٩٦م.

٣٥. **مجمع البيان في تفسير القرآن:** أبو علي الفضل بن حسن الطبرسي (ت٥٤٨هـ)، دار الكتب العلمية بيروت- لبنان، ط١، ١٤١٨هـ- ١٩٩٧م.

٣٦. **المخصص:** ابن سيدة أبو الحسن علي بن إسماعيل الأندلسي (ت٤٥٨هـ) المطبعة الاميرية ببولاق، (د. ت)، (د. ط).

٣٧. **مشكل إعراب القرآن:** لأبي محمد مكي بن أبي طالب القيسي (ت٤٣٧هـ)، تحقيق د.حاتم الضامن، وزارة الاعلام، بغداد، ١٩٧٥م، (د. ط).

٣٨. **معالم التنزيل:** لأبي محمد الحسين بن مسعود البغوي (ت٥١٦هـ) حققه وخرج أحاديثه: محمد عبد الله النمر ود. عثمان جمعة صميرية، سليمان مسلم الحرش، دار طيبة للنشر والتوزيع، الرياض، ط١، ١٤٢٣هـ- ٢٠٠٢م.

٣٩. **معاني القرآن:** لأبي زكريا يحيى بن زياد الفراء (ت ٢٠٧هـ)، دار الكتب والوثائق، القاهرة، ط٣، ١٤٢٢هـ-٢٠٠٢م.

٤٠. **معترك الإقران في إعجاز القرآن**: جلال الدين السيوطي (ت٩١١هـ) تحقيق: محمد عبد الرحيم، دار الفكر للطباعة والنشر، بيروت- لبنان، ط١، ١٤٢٣هـ-٢٠٠٣م.

٤١. **معجم المصطلحات البلاغية وتطورها**: د. أحمد مطلوب بغداد، مطبعة المجمع العلمي العراقي، ١٤٠٦هـ- ١٩٨٦م، (د. ط).

٤٢. **مغني اللبيب عن كتب الأعاريب**: جمال الدين ابن هشام الأنصاري (ت ٧٦١هـ)، تحقيق: مازن المبارك ومحمد علي حمد الله، دار الفكر دمشق، ط١، ١٣٨٤هـ-١٩٦٤م.

٤٣. **مفتاح العلوم**: لأبي يعقوب يوسف بن أبي بكر بن محمد السكاكي (ت٦٢٦هـ) تحقيق أكرم عثمان يوسف، بغداد، مطبعة دار الرسالة، ط١، ١٤٠٢هـ-١٩٨٢م.

٤٤. **المقتضب**: لأبي العباس المبرد (ت ٢٨٥هـ) تحقيق محمد عبد الخالق عضيمة، عالم الكتب، بيروت- لبنان، (د. ت)، (د. ط).

٤٥. **من أسرار البلاغة القرآنية**: د. أسعد مصلح أحمد عريقات، دار عمان للنشر، ط١، ١٩٩٢م.

الأطاريح والرسائل الجامعية

١. **التغليب في القرآن الكريم**: عبد الوهاب حسن حمد، أطروحة دكتوراه، كلية الآداب- جامعة بغداد، ١٤١١هـ- ١٩٩٠م.

المجلات والدوريات

١. **وظيفة الانزياح في منظور الدراسات الأسلوبية**: د. عصام قصبجي، أحمد محمد ويس، مجلة بحوث جامعة حلب، ع ٢٨، لسنة ١٩٩٥م.



المحتويات

المؤلف في سطور

ولد الدكتور عقيد خالد العزاوي في العراق عام ١٩٦٧م وأكمل دراسته الابتدائية والمتوسطة والإعدادية في بغداد سنة ١٩٨٣م وحصل على البكالوريوس من كلية التربية، قسم اللغة العربية عام ١٩٨٨م، ثم حصل على الماجستير والدكتوراه من الكلية نفسها عام ٢٠٠٠م.

عُين رئيساً لقسم علوم القرآن الكريم عام ٢٠٠٢م.

مقرراً لقسم طرائق تدريس القرآن والتربية الإسلامية عام ٢٠٠٤م.

مقرراً للدراسات العليا في قسم القرآن الكريم.

محاضراً للدراسات العليا في قسم علوم القرآن، وقسم أصول الدين كلية العلوم الإسلامية، وقسم اللغة العربية، كلية الآداب في الجامعة الإسلامية.

محاضراً في كلية الإمام الأعظم.

حالياً معاون عميد كلية التربية.

كتبه المؤلفة وبعض بحوثه المنشورة:

- رئيس لجنة تنقيح المصحف الشريف برواية ورش عن نافع المدني – دار مليلة – الجزائر – ١٩٩٦م.
- البلاغة عند الأصوليين – دار التراث العربي.
- البيان القرآني في تفسير نظم الدرر في تناسب الآيات والسور، دار الشؤون العلمية.
- المنهج البياني في تفسير القرآن العظيم في العصر الحديث، دار الكتاب العربي.
- علم الدلالة دراسة وتطبيقات، دار بغداد للطباعة والنشر.
- شرح وتحقيق متن السمرقندية في البلاغة العربية، دار القلم.
- دليل البلاغة العربية، مطبعة أنوار دجلة، بغداد.
- نظرات أسلوبية للتغليب في الخطاب القرآني، دار العصماء.
- وهناك عدد من الكتب تحت الطبع وقيد الإنجاز بإذن الله تعالى تصدر قريباً.
- شارك في عدة مؤتمرات داخل وخارج العراق.
- له العشرات من البحوث المنشورة في المجلات والدوريات المحكمة.



هذا الكتاب

دراسة جادة لأسلوب من أساليب البلاغة القرآنية تظهر مدى إعجاز القرآن الكريم، من خلال أسلوب جديد في طرحه قديم في أصوله وهو التغليب، فالدرس الأسلوبي الحديث قد تبوّأ مكانة مرموقة وشامخة في سماء ثقافتنا العربية المعاصرة بفضل الطروحات والسمات الإبداعية. فالتغليب أحد الأساليب البلاغية التي عرفتها الدراسات العربية والغربية.

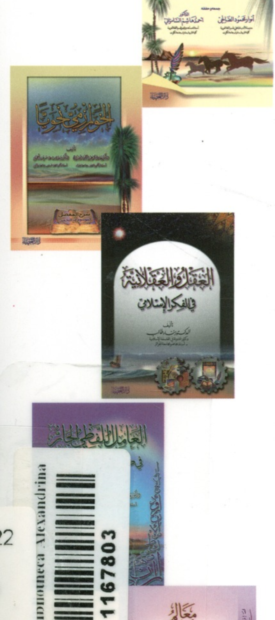
فالكتاب رؤية شمولية تسعى إلى الإحاطة بالخطاب القرآني من خلال مستوى الإنزياح التغليبي وصولاً للنص القرآني الجليل.

الدكتور عدنان جاسم محمد الجميلي

- من مواليد ١٩٦٨م.
- حائز على درجة البكالوريوس من قسم اللغة العربية - كلية التربية (ابن رشد) - جامعة بغداد - سنة ١٩٩١م.
- حائز على درجة الماجستير من الكلية نفسها سنة ١٩٩٩م.
- حائز على درجة الدكتوراه من قسم اللغة العربية - كلية التربية (ابن رشد) - جامعة بغداد - تخصص (البلاغة والنقد الأدبي) سنة ٢٠٠٣م.
- عمل سابقاً أستاذاً محاضراً في قسم اللغة العربية - كلية الآداب - جامعة بغداد - تخصص (البلاغة والنقد الأدبي). وكلية العلوم الإسلامية - جامعة بغداد - تخصص (البلاغة والنقد الأدبي).
- له أبحاث بلاغية ونقلية منشورة في الدوريات والمجلات المحلية والعربية.
- له مشاركات كثيرة في الندوات والمؤتمرات النقدية والأدبية المحلية والعربية.
- عضو هيئة تدريس في قسم اللغة العربية - كلية التربية (ابن رشد) - جامعة بغداد - تخصص (البلاغة والنقد الأدبي).

الدكتور عقيد خالد حمودي العزاوي

- من مواليد ١٩٦٧م.
- حائز على البكالوريوس في كلية التربية، قسم اللغة العربية عام ١٩٨٨،
- حائز على الماجستير والدكتوراه من الكلية نفسها عام ٢٠٠٠.
- عين رئيساً لقسم علوم القرآن الكريم وكالة عام ٢٠٠٣.
- مقرراً لقسم طرائق تدريس القرآن والتربية الإسلامية ٢٠٠٤-٢٠٠٥.
- مقرراً للدراسات العليا في قسم علوم القرآن الكريم.
- محاضراً للدراسات العليا في قسم علوم القرآن، وقسم أصول الدين كلية العلوم الإسلامية، وقسم اللغة العربية، كلية الآداب، الجامعة الإسلامية، ومحاضراً في كلية الإمام الأعظم.
- حالياً أستاذاً في قسم علوم القرآن الكريم كلية التربية/ جامعة بغداد.
- معاون لعميد كلية التربية .
- له مؤلفات وأبحاث بلاغية نشرت خارج وداخل العراق.





دار العصماء